قصص الصحابة للأطفال

سلوى العناني

في كلمات سهلة وعرض للأحداث مشوق مع صور جاذبة للإنتباه تعرض لنا الأستاذة سلوى العناني هذه القصص لعشر من صحابة رسول الله ﷺ وقد قمنا بجمع اللوحات وتقديمها لكم في هذا البرنامج لفائدة أبنائنا

عادل محمد



قصص الصحابة

الغلام الذي اختار الجنة

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

مقدمة

نحنُ اليوم مع مجموعةٍ من الأطهارِ التي إلْتفَّتْ حول أطهرِ خَلْقِ الله ..

إنهم قومٌ باعوا الحياةَ ، واشتروا رضوانَ الله ، ورسولِه ..

قومٌ تركوا متاعَ الدُّنيا خلفَهم ، ويَمَّمُوا شطرَ الرسالةِ العُظمى.. فقدموا حياتَهم ، وأموالَهم ثمنًا لعقيدةٍ فيها خلاصُ الإنسانية .

هؤلاء هم صحابةُ رسولِ الله الذين عاشوا معه .. رأوه ، وأسلموا بين يديه .. وأعلنوا إيمانَهم بالله الواحدِ الأحدِ ، وبمحمدٍ رسولا ، وصدَّقوا بكل ما جاء به ..

لقد هداهم عقلُهم ، وبصيرتُهم إلى الطريقِ القويمِ ، واقتنعوا بأنهم كانوا في ضلالٍ .. وآمنوا بأنَّ ما جاء به محمدٌ إنما هو الحقُّ .

كانوا يعرفون محمدًا .. رجلاً فقيرًا أميًا يتيما .. ملأت سيرتُه العطرةُ أسماعَ قريشٍ ، وأبصارهَا فسمُّوه (الأمين) ..

لا يذكر له أحدٌ كَذِبًا أو خيانةً أو شُحًّا .. كلُّ ما يعرفونه عنه كانَ الصدقَ ، والكَرَمَ ، والعِفَّةَ ، وحُسْنَ الحديثِ وخَيْرَ الجوارِ.. فلماذا لا يصدقونه ، وهو الصادق؟!.. ولماذا لا

يتبعونه وهو الأمين؟!

لماذا لا يسمعونه ، وهو الذي لم يعرف غير الحق ؟!

آمنوا به .. واتبعوه وصَدَقُوا ما عاهدوا الله عليه ..

لا شك أنها حَيْرَةٌ ما بعدها حَيْرَةٌ..

فأنت وسط البستان المُزْهر .. والشَجَرِ المثمرِ .. والنجومِ المتلألئةِ .. فأيها تختارُ ؟ ومع أيها تقفُ ؟.. وعن أيها تتحدثُ؟

كوكبةٌ من الأطهارِ .. ومجموعةٌ من الأبرارِ .. وأمةٌ من الأخيارِ.. فأيها أختار؟!

تمنيت لو استطعتُ أن أقدمهم جميعا لأصدقائي ، وأن أعرِّف أبنائي بهذه الصُحْبَةِ الطيبةِ المباركة .. لكن أيَّ كتابٍ يكفيني؟ وأي أوراق تَسَعُ كلماتي؟

كان لابدَّ من الاختيار .. واخترت .

ليس لأن هؤلاء هم خيرةُ الصحابةِ .. ولا أكرمُهم ، ولا أشجعُهم ، ولا أقواهُم إيمانا .. لا .. لكن لأني مقيدةٌ بعدد هذه الصفحات ؛ فوقفت مع البعضِ أقدمهم لك يا صديقي نموذجا للإيمان ، والصدقِ .. والصفاءِ ، والنقاءِ .

سلوى

الغلام الذي اختار الجنة

(زيد بن حارثة)

[ما أنا بالذي يختارُ عليك أحدًا ، أنت الأبُ ، والمعلمُ]

زيد بن حارثة

كانت عادةُ (التبني) من العادات المنتشرة بين العـرب في الجاهلية .

وهذا يعني أن الشخصَ يَنْسِبُ إليه ولدا من غير أبنائـه فيعطيه اسمَه ، كما يعطيه الحقَّ في أن يرثه ..

وكان هذا لا شكَّ تعبيرا عن اعتزازِ هذا الشَّخْصِ بِمَنْ تبناه ، وضمَّه إلى أسرته دون وجود رابطة دم بينهما .

كان لابد من هذه المقدمة قبل أن نتعرفَ على واحدٍ مـن أحبِّ صحابةِ رسولِ اللهِ إلى قلبه .. حتى أنهم أطلقوا عليـه اسم (حِبُّ رسولِ الله) .. وهو (زيدُ بنُ حارثةَ) الـذي لازمَ الرسولَ منذ كان صبيا صغيرا .. فمن هو زيد بن حارثة ؟

كان زيدُ ابنا سعيدا يعيش في كَنَفِ أبوين يحبانه ويرعيانه

إلى أن تعرضت ديارُهم لغارةٍ إحدى القبائل المعادية التى انتزعت الصغيرَ من حُضْنِ والديه ، وأسَرَته ضِمْنَ مَنْ أُسِرَتْ من الغلمان ، ثم باعتهم رقيقا في سوق العبيد .

ويشاء الحظُّ أن يقع اختيارُ "حكيم بن خزام" على هذا الغلامِ القصيرِ الأسمرِ ذي الأنف الأفطس فيشتريه ، ثم يهبه لعمته "خديجة بنت خويلد" ..

وينفتح قلبُ المرأةِ العظيمةِ لهذا الغلامِ الذي تَشِعُّ عيناه ذكاء ، وفطنة ، وتخصُّه برعاية ، وحُبٍّ خاص ، ثم يتضح لها مع الأيام قَدْرُ أمانته ، وإخلاصه فتهبه بدورها لزوجها (الأمين) (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب) .. وما إن يرى محمدٌ هذا الغلام إلا ويشعر نحوه بالحب والتقدير ، فيعتقه فورا .

ويعيشُ (زيد) فى كَنَفِ (محمدٍ) وتظهر الأيامُ نقاءَ معدنه ، وذكاءه ، وإخلاصه ، وصدقه ، وأمانته ، ويزداد (محمد) تعلقا به ، ويضاعف رعايته له ، وعطفه عليه ..

ويلتقى بعضٌ من أهلِ (زيد) به فى أحد مواسم الحج ، ويعرفون أنه ابن (حارثة) الذى فقده أبواه منذ سنوات ..

فوصفوا له كيف يتعذَّبُ والده لفراقه .. فَحَمَّلهم (زيد) سلامه ، وشوقه لوالديه ، وكل عشيرته ، كما حمَّلهم رسالة خاصة لوالده يقول فيها : (أخبروا أبى أنى هنا مع أكْرمِ والد) ..

ويطير قلبُ الوالد (حارثة) فرحا بهذه الأخبار التى وصلته عن ابنه (زيد) ويشد الرحال ومعه شقيقه إلى مكة ويلتقيان بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم فقال له (حارثة) :

ـ يا بن عبد المطلب .. يا بن هاشم .. يا بن سيد قومه ، أنتم أهلُ حَرَمِ الله وجيرانه ، تفكون العانى ، وتطعمون الأسير ، جِئناك وابننا عندك فامْنُنْ علينا ، وأحسن إلينا فى فدائه .

سأل النبى عليه السلام : ومن هو ؟

قال (حارثة) : هو (زيد بن حارثة) .

فرد عليه السلام : فهلا غير ذلك ؟

قال حارثة : وما هو ؟

قال النبى : "أدعوه فأخيِّره .. فإن اختاركم فهو لكم ..

وإن اختارنى ، فو الله ما أنا بالذى أختار على من اختـارنى أحدًا" .

واهـتزت مشـاعر (حارثـة) وشـقيقه لمقالـة رسـول الله وشكرا له كرمَه وحُسْنَ خُلِقِه .. وأرسـل النبىُّ فـى طَلَـبِ (زيد) وقال له :

ـ هل تعرف هؤلاء ؟

قال : نعم .. هذا أبى وهذا عمى ..

قال له النبى : فأنا مَنْ قد علمت ورأيت صُحبتـى لـك ، فاخترنى أو اخترهما .

قال زيد : ما أنا بالذى أختـار عليـك أحـدًا .. أنـت منـى مكان الأب والعم .

وثار الأب والعم وقالا لزيد : ويحك أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك ؟!

قال زيد : نعم قد رأيت من هذا الرجل شيئا .

ثم اتجه بالحديث إلى النبىِّ ـ عليه السلامُ ـ قائلا :

(ما أنا بالذى يختار عليك أحدًا . أنت الأب والمعلم) .

يا لها من نجابةٍ ، وذكاءٍ ، وقوة شخصيةٍ .. فها هـو الصبىُّ يعثرُ على والديـه بعـد طـول فـراق .. لكنـه يختـار عليـهم الرجلَ الذى أحبه ، ولم يجدْ منه إلا كَريمَ الصُّحبـة وحُسْـنَ المعاملة ..

هنا توجه محمدٌ إلى ساحة الكعبةِ مُمسِكًا بيدِ (زيد) مُعلنا للجميع أن "اشهدوا أن (زيدًا) ابنى يرثنى وأرثه" .

ومن ساعتها أصبح (لزيد بـن حارثـة) اسمـا جديـدًا هـو (زيد بن محمد) .. وكان (زيد) جَدُّ سعيدٍ بـهذا الأب الـذي أحبه وفَضَّـلَ صُحبتـه علـى العـودة إلى قبيلتـه ، وأسـرته ، ووالديه .

وتزيد الأيـامُ (زيـدًا) حُبًّـا (لمحمـدٍ) كمـا تزيـدُ (محمـدًا) رعاية ، وعَطْفًا علـى (زيـدٍ) الـذى كـان يـرى فـى خِصَـال (محمد) ، وفى أخلاقه نموذجًا نَدَرَ أن يوجد بين البشرِ . فهو أمينٌ كريمُ العشرةِ ، ثـابتُ العزيمـةِ ، قـوىُّ الإرادةِ ، شـديدُ البأسِ ، كاملُ الوفاءِ ، صادقُ المودةِ ، يصل الرَّحِمَ ، ويحسـنُ معاملةَ كلَّ مَنْ حولـه .. كمـا كـان يراقبـه ، وهـو يعتكـف للتعبُّد فى غارِ حِرَاء يقضى الأيامَ صائمـا مكتفيـا بـالقليلِ من الزاد ، متأملاً باحثًا عن الحقيقة ..

ويأتى (محمدٌ) بالبشارة .. بالدعوةِ إلى الحقِّ .. إلى الإسلام، وتكون (خديجةُ) الزوجةُ الوفية الرحيمة هى أول من يصدِّق (محمدًا) من النساءِ وتعلن إسلامها ويكون (علىٌّ ابن أبى طالب) ابنُ عمِّ النبىِّ عليه الصلاةُ والسلامُ ، والذى كان يعيش فى كَنَفِ (محمدٍ) هو أول صبى يؤمن بابن عمه (محمد الأمين) ويعلن إسلامه .. وكذلك (زيد) فقد رأى أن محمدًا ، وزوجته (خديجة) ، وابن عمه (علىٌّ) يؤدون صلاة خاصة ، ويرتلون كلاما له طَعْمٌ خَاصٌّ ، سأل عن ذلك فأبلغه (محمد) أن الوحى قد جاءه ، وأمره أن يبشِّرَ بدين جديد هو الإسلام ، وأن (جبريل) يأتيه بين الحين والحين بآيات مُحكمات – هن أم الكتاب – وهذا هو القرآن ..

ولم يكن هناك مجال للتردد ، أو المناقشة .. (فزيد) يعرف عن (محمد) كل الخِصال الطيبة العظيمة ، ولا يمكن أن يكون ما يقوله اليوم غيرَ الصدق .. كل الصِّدق .. إذن فهو الإيمان .. هو الإسلام .. هى الشهادة .. ونطق (زيد) بالشهادة ..

أشهد أن لا إلهَ إلا الله .. وأن محمدًا رسولُ الله ..

ويكون (زيدٌ) هو ثالثُ من آمَنَ بمحمد واعتنق الإسلام دينا ..

ويزداد (زيدٌ) (بمحمدٍ) ارتباطا ..

ويزدادُ (محمدٌ) (لزيد) حُبا ..

ولم لا .. وهذه الأيام تُظهر فى كل فرصة فضيلةً جديدةً من فضائل هذا الفتى الذى قرَّبه الرسول من قلبه ، ومن مجلسه .. ورفع عنه كابوس العبودية واختلاف اللون ، وغياب الوسامةِ ، والوجاهة؟!

إنه نبىُّ الإسلام الذى أتى بالمساواة ، والأخوة بين كل البشر، فلا فضل لعربى على أعجمى ، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.. وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ..

وإلى (يثرب) يهاجر (زيد) مع من هاجر من المسلمين ، ثم يشارك فى كل الغزوات ، والحملات العسكرية للمسلمين .

وبأمر من القرآن الكريم يعود إلى (زيد) نَسَبُه الحقيقى :

﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ

﴿يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾ [الأحزاب : 4-5]

هكذا يحفظ القرآنُ للناس أنسابهم .. ويظل (زيد بن حارثة) حِبَّ رسول الله) وأقربَ الناس إلى قلبه حتى قالت السيدة عائشة رضى الله عنها : (ما بعث رسول الله زيدَ بنَ حارثةَ في الجيشِ قط إلا أمَّره عليهم .. ولو بقى حيا بعد رسول الله لاستخلفه) .

كان العربُ ينظرون إلى (الموالى) – وهم الرقيق المحرر – فى درجة أدنى من السادة الأحرارِ .. فهم لا ينسون ماضيهم ولا يغفرون لهم وضعا ليس لهم فيه يد .. لهذا لم يكن من حق هؤلاء الموالى التقدم لبناتِ الأُسر الكريمة طلبا للزواج منهن ..

لكن الإسلام أتى بالفكرِ الجديدِ وبالمبادئِ الحرةِ وبأن الناس سواسية كأسنانِ المِشط وبأن أكرمكم عند الله أتقاكم ..

وأراد النبىُّ أن يحقق هذه المساواة بشكل عملى فزوَّجَ

(زيدَ بنَ حارثةَ) من إحدى شريفات بنى هاشم وهى (زينب بنت جحش).

وهكذا ضرب النبىُّ المثلَ وكان الأسوة الحسنة .

وتزوج (زيد) من (زينب) .. لكنه لم يكن زواجا موفقًا .. وتم الطلاق بينهما ..

ولما مَرَّت بزينب (شهور العدة) طلبها النبىُّ للزواج .. وكان هذا مُخالِفًا لما اعتادت عليه العربُ من تحريم زواج مطلقات الأدعياء .. لكن القرآن نزل بالوحى ليبيح للمسلم الزواجَ ممن كُنَّ أزواجًا لأدعيائهم ..

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً﴾ [الأحزاب : 37] .

هذا هو العامُ الثامنُ للهجرة .. وهذا هو شهر جُمادى الأولى.. وها هو الرسولُ عليه السلام يدعو إليه ثلاثة آلاف من خِيْرة رجالِ المسلمين بقيادة (زيد بن حارثة) .

وودَّع الناسُ أمراءَ الجيشِ، وجنودَه ، وسار النبىُّ معهم حتى ابتعدوا عن حدود المدينة ، وقد أوصاهم بقيادة الجيش

بعد (زيد) (لجعفر بن أبى طالب) ، وبعده (لعبد الله بن رواحة) .

نعم .. كان (زيدُ بن حارثة) هو القائد .. هذا الرجل الأسمر اللون ، القصير القامة ، غير الوسيم ، الذى كان يوما ما عبدا ومن الرقيق .. يتولى قيادةَ الجيش قَبْلَ (جعفر ابن أبى طالب) ابن عم رسول الله .. هذا الفارسُ الحسيبُ ، النسيبُ ، الوسيمُ ، التقَىُّ النقىُّ ، الذى كان أقرب خلق الله إلى رسول الله فى الخُلُق ، والخِلْقة .. لكنه الدين الجديد .. الإسلام .. الدين الذى لا يعرف محابة ، ولا مجاملة .

الدين الذى أراد نبيه فى كل يوم أن يثبت مبادئه الجديدة الحَقَّة ..

وكان من بين جنود هذه الحملة (خالد بن الوليد) فارسُ العرب ، سيفُ الله المسلول كما سمَّاه النبى الكريم .. وكان حديثَ عهدٍ بالإسلام .. وأراد بهذه المشاركة أن يثبت حُسْنَ ولائه للإسلام ..

كانت هذه الحملة تتجه إلى حدود بلاد الشام مع بلاد

العرب التى كانت واقعة تحت حُكْم الروم .

وكان الروم قد أحسوا بخطر الدعوة الجديدة الآتية من بلاد العرب، وبدءوا يناوشون المسلمين ، ويستعرضون قوتهم ، فكان لابد أن يَرُدَّ المسلمون على هذا الموقف .. ورغم الفارق الكبير فى العدد ، والعُدة .. إلا أن المسلمين كانوا يشعرون وكأن كل محارب فى جيشهم يساوى مئة فى الجيش المقابل ؛ بما يملأ قلوبهم من الإيمان ، والعزيمة ، والرغبة فى الدفاع عن دينهم الحق ..

وسار جيشُ المسلمين فى ثلاثة آلاف ليقابل ثلاثمائة ألف من المقاتلين الروم فى (مؤتة) ..

وكانت معركة غير متكافئة .. لكن الإيمان من جانب المسلمين دفعهم إلى اقتحام خصومهم يطلبون النصر ، أو الشهادة ..

ويسقط (زيدُ بن حارثة) فى اليوم الأول شهيدا بعد أن أبلى بلاء حسنًا ..

ويرفع الراية (جعفرُ بن أبى طالب) من بعده ليلحق به فى عالم الشهادة .. ثم يتبعهما (عبد الله بن رواحة) .

كِرام ثلاثة .. قدموا حياتهم فى سبيل نصرة دينهم ..

وتولى (خالد بن الوليد) قيادة الجيش من بعدهم .. فاستخدم دهاءه العسكرى ، وأوهم الروم أن هناك مَدَدًا كثيرا قد أتاه من المدينة ، فأدخل فى قلوبهم الرُّعْبَ ، فتوقفوا عن القتال خَشْيَة مضاعفة خسائرهم التى أوقعها بهم المسلمون فى اليوم الأول .

وأخذ (ابن الوليد) قرار العودة مُكتفيا بما فَقَدَ الجيشُ من خِيْرَةِ صحابةِ الرسولِ الكرامِ مؤمنًا بعدم تكافؤ جيشه مع جيش الروم فى العدد ، والعدة ..

ويعلم النبىُّ الكريم بمصرع (زيد) ، و(جعفر) و(ابن رواحة) .. ويُخبرُ أنهم فى الجنة جزاء لما بذلوه فى سبيل نُصرة الحق ، وإعلاء راية الإسلام .

رَحِمَ الله (زيدًا) .. فقد كان نِعْم الصديق ، ونِعْم الرفيق .. ونِعْم الصحابى المؤمن التقى .



2

قصص الصحابة

صوت من السماء

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

صوت من السماء

(بلال بن رباح)

[أنا الحبشيُّ الذي كان بالأمسِ عبدًا .. كنتُ ضالا فـهداني الله.. وكنتُ عبدًا فأعتقني الله] بلال بن رباح

هذا يومٌ من أعظم أيامِ التاريخِ .. وربما كان أعظمَها .. ففي هذا اليوم فتحَ الله للإسلامِ فتحًا مُبينا .. فدخل الرسولُ الكريمُ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ مكةَ المكرمةَ على رأسِ عشرةِ آلافٍ من المسلمين .. كان منهم الأنصارُ ومنهم المهاجرون ، ومنهم أبناءُ القبائلِ الأخرى التي أسلمت ، وآمنت بالله ربًّا ، وبمحمدٍ رسولاً..

كان (محمدٌ عليه السلامُ) يتمنى أن يدخلَ مكةَ دون أن يسفكَ دَمًا على أرضِها لتظلَّ (حَرَاما) كما أراد الله لها، وقد مَنَّ الله عليه بهذا ..

فها هي طلائعُ المسلمين تقتربُ من بيوتِ مكةَ ، ولم يظهرْ مَنْ يعترضُ سَيْرَها ..

إلى البيتِ الحرامِ اتجه النبيُّ ، ومعه باقي المسلمين وارتفع نداؤهم .. لَبَّيْك اللهم لَبَّيْك ، وتسابقوا إلى تحطيم الأصنامِ داخلِ الكعبةِ، ومِنْ حولها .. وأزالوا الرسومَ ، ومحوا كلَّ مظاهر الشركِ وارتفعت تهليلاتهم .

{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}

[الإسراء:81]

وجاء موعدُ الصلاةِ .. ومن فوق الكعبةِ ارتفع للمرة الأولى صوتٌ جميل ، بنداءِ الحقِّ .. فكان ، وكأنه (صوتٌ من السماء) .

الله أكبرُ .. الله أكبرُ .. الله أكبرُ .. الله أكبرُ ..

أشهدُ أن لا إلَهَ إلا الله .. أشهدُ أن لا إلَهَ إلا الله ..

أشهد أنَّ محمدًا رسولُ الله ..

أشهد أن محمدًا رسولُ الله ..

حي على الصلاة .. حي على الصلاة .

حي على الفلاح .. حي على الفلاح .

الله أكبرُ .. الله أكبرُ .. لا إلهَ إلا الله ..

فَمَنْ هذا الرجلُ الذى كان له شرفُ إطلاقِ نداءِ الحقِّ بالصلاةِ لأوَّل مرةٍ في الكعبةِ المشرفةِ يوم النصفِ من رمضان في العام الثامن للهجرة ؟؟..

من هذا الرجلُ النحيلُ شديدُ السمرةِ مفرطُ الطول .. قصيرُ الشعر؟

إنه (بلال بن رباح) ..

أول مؤذن في الإسلام ..

أول من رفع نداءَ الصلاةِ في مدينةِ رسولِ الله ..

كما علَّمه إياه الرسولُ ..

ثم هو يحظى بشرفِ رفع نَفْسِ النداءِ في الكعبةِ يومَ فَتَحَ المسلمون مكةَ ، ودخلوها حاملين رايةَ الإسلامِ ، والتوحيد لله ..

فهل نرجعُ قليلا مع الأيام لنعرفَ من هو (بلال بن رباح) ؟

كان هذا الرجلُ قَبْلَ إسلامِه (عبدًا) يرعى الغنَمَ لرجلٍ من سادةِ قريشٍ يُدْعى (أمية بن خلف) ، وكان أجرُه (بِضْعَ تمرات) يأخذُها في نهايةِ يومٍ شاقٍّ من العمل ، ويتنحَّى جانبًا ، فيأكلُ منه ما يأكلُ، ثم يفترش الأرضَ ، لينامَ .. وفي الصباح يمضي مع الإبلِ إلى حَيْثُ الكلأُ غير عابئ بحرارة الشمسِ ، ولا بقسوةِ الطبيعةِ .. وماذا هو فاعلٌ ، وهو عبدٌ لا أهْلَ له ، ولا عشيرةَ ، وهو لا بد أن يستمرَّ في عمله ، حتى يضمنَ هذه التمراتِ التي لا تكادُ تَسُدُّ رمقه ؟!

كان يتأملُ الطبيعةَ حوله .. هذه الشمسُ تدور في فَلَكٍ محكمٍ، فتنظمُ الأيامَ ، والليلَ ، والنهارَ ، وهذا القمرُ يأتي ، فينظمُ الشهورَ ، والسنواتِ .

هذا الكلأُ ينمو بين الصخورِ ، وفي الرمالِ .. وهذه السحبُ تأتي أحيانا بالمطرِ ، وأحيانا تعبرُ الأرضَ فلا تجودُ عليها بشيء من الماء ..

كان راضيًا بنصيبه من الحياة .. فهو عبدٌ أجيرٌ ليسَ له حقُّ المعرفةِ .. كان يحسُّ أنه فَقَدَ الحقَّ في أن يحلمَ بأن يكون

يومًا مثل باقي البشرِ .. فهو أسـودُ البشـرةِ وابـن (أَمَـةٍ)(*) كانت هي الأخرى سوداء .

وسط ظلامِ الحياة حوله تسللَ إليه يوما طيفُ نورٍ أيقـظَ فيه الأملَ .. وداعبَ الحُلْمَ ..

فقد سمع أن نبيا ظهرَ في مكةَ يدعو النـاسَ إلى عبـادة إلـهٍ واحدٍ، ويقول : إن الناسَ سواسيةٌ ، ولا فَضْلَ لأبيضَ علـى أسودَ إلا بالتقوى.. وإلى هذا الرسولِ النبيِّ ذهـب (بـلال) ، فسمع حديثا لم يسمعه مـن قبـل .. وأحـسَّ لأوَّلِ مـرةٍ أنـه إنسانٌ مثل باقي البشرِ ،

وأنه قادرٌ على أن يحلُم ، وأن يحقق أحلامه ..

ونطق (بلالٌ) بالشهادةِ بين يديِّ رسـولِ الله وبـدأ يـأخذ عنه تعاليمَ الإسلامِ .. وبدأ يشعرُ وكأن ضيـاءً يغمـرُ نفسَـه وينيرُ قلبَه..

ويصلُ إلى علمِ (أميةَ بن خَلَفٍ) مـا أقـدمَ عليـه (العبـدُ

(*) الأمةُ : الجارية .

الحبشيُّ)، فيثور ثورةً ما بعدها ثورةً .. فكيف لهذا العبدِ أن يعتنق دينا غير دين سيله .

كان هذا السيدُ زعيمًا في قومه .. وكان واحدًا من هؤلاء الذين ثاروا ضد دعوةِ هذا الدين الجديدِ وتوعدوا صاحبَ الدعوةِ، وكلَّ من يؤمن به.. بالويلِ ، والثبورِ .

في ساعةِ الظهيرةِ جاءوا (ببلالٍ) مقيدًا بالسلاسلِ فطرحوه أرضًا فوق الرمالِ ، والحصى الملتهبِ ، ثم حمل مجموعةٌ من الرجالِ صخرةً ضخمةً ، ووضعوها فوق صدرِه ..

وجاء سيدُه يحملُ السوطَ ، فَيَهْوِي به على ما ظَهَرَ من جَسَدِه طامعًا في أن يسمعَ منه كلماتِ اعتذارٍ ، أو عودةٍ عن هذا الدينِ الجديدِ الذي اعتنقه .. لكنه لم يسمعْ من بلالٍ إلا كلمةً واحدةً .. أحدٌ أحَدْ .. أحدٌ أحَدْ .

وتزدادُ ثورةُ (أميةَ بنِ خَلَفٍ) ويأمرُ بمضاعفةِ العذابِ على جَسَدِ (بلال) .

ويبدأ الكفارُ في مساومة (بلال) .

- اذكر آلهتنا بالخير فيتوقف عنك هذا العذاب .

- قل ربي اللات والعُزَّى .

- اذكر (محمدًا) بسوء ..

فقط ينطق بكلمةٍ واحدة ، ويتوقف العـذابُ ، لكنـهم لم يسمعوا منه إلا ما آمن به ..

أحدٌ أحَدْ .. أحدٌ أحَدْ ..

ويعلم (الصدِّيقُ) أبو بكر بما حَدَثَ (لبلال) فيذهبُ إلى (أميةَ بنِ خَلَفٍ) يطلب منه شراءَ (العبدِ المتمـردِ بـلالٍ) .. ويفرحُ أميةُ بهذه الصفقةِ .. فها هو يتخلصُ من هذا العبدِ المشاغبِ، ويزيحُ عن نفسِه عارَ هذا الدينِ الـذي اعتنقـه .. ثـم هـو يقبـضُ ثمنـه .. وهـذا خـيرٌ مـن قتلـهِ .. ويسـلمُ (أبو بكر) الدراهمَ إلى (أميةَ) .. ويصطحبُ معه (بـلالا) ، ويبشِّره بالحرية ..

نعم ، فقد أعتق أبو بكر (بلالا) منذ لحظة شـرائه ، وإلى

أصحابَ الرسولِ صلى الله عليه وسلم ينضمُ (بلالٌ) ، ويتدارسُ الدينَ ، ويحفظُ القرآنَ ، ويداومُ على الصلاةِ .. ثم يهاجرُ مع من هاجرَ من المسلمين إلى المدينة هربًا من ظُلْمِ كفارِ مكةَ ، وطغيانهم.

وفي المدينة بدأتْ دولةُ الإسلامِ تُرْسِي أركانها .. فَفُرِضَتْ الزكاةُ ، وفُرِضَ الصومُ ، واتسعتْ رقعةُ المدينةِ بزيادةِ عددِ المسلمين وكان لابدَّ من وسيلةٍ تجمعُ المسلمين للصَّلاةِ في وقتها .. وعلى لسانِ (جبريلَ) جاء الأمرُ للنبيِّ الكريمِ برَفْعِ الأذان في موعدِ الصلاةِ..

ويختار النبيُّ أجملَ صحابته صوتا لكي يرفع نداءَ الحقِّ في سماءِ (المدينةِ) .

وفي موعدِ كل صلاةٍ يَصْعَدُ (بلالٌ) فوقَ بيتٍ مرتفعٍ يجاورُ مَسْجدَ الرَّسولِ ، فيطلقُ صوتَه الجميلَ العذبَ بأحلى كلماتٍ سمعتها أُذُنٌ على سطحِ الأرضِ ..

الله أكبر .. الله أكبر.. الله أكبر.. الله أكبر ..

أشهد أن لا إله إلا الله .. أشهد أن لا إله إلا الله ..

أشهد أن محمدًا رسول الله .. أشهد أن محمدًا رسول الله ..

حي على الصلاةِ .. حي على الصلاةِ ..

حي على الفلاحِ .. حي على الفلاحِ ..

الله أكبر .. الله أكبر ..

لا إله إلا الله ..

لقد ارتفع هذا الصوتُ يومًا مرددًا – أَحَدٌ أَحَـدْ – بينما كان العذابُ ينهالُ على جسدِ صاحبه .

وها هو اليومَ يرفعُ الأذان ، ويدعو الناسَ للصلاةِ ، وهـو فخورٌ .. سعيدٌ .. راضٍ .. فهو اليوم رجلٌ حُرٌّ .. مؤمنٌ .. وها هم المسلمون ازدادوا عُوْدًا ، وقوة ..

ولم يرضَ كفارُ قريشٍ ، وغيرها من قبـائلِ العـربِ بـهذا الاستقرار الذي ينعمُ به المسلمون في المدينـة . وأزعجتـهم هذه القوة في العددِ والعُدَّةِ التي وصلـوا إليـها .. فتعـددتْ غزواتُهم يتمنون أن يكسـروا شـوكةَ الإسـلامِ ، ويشـغلوا

المسلمين عن دينهم بحروبٍ تُفْني رجالهم ، وتبدد ثرواتهم ، وكانت (بدرٌ) هي أولى الغزواتِ التي شنَّها كفارُ قريشٍ ، وحلفاؤهم على المسلمين .. وتسابقَ المسلمون لحمل السلاح ، دفاعا عن دينهم ، وخرجوا للقاءِ هؤلاءِ المشركين الذين سَبَقَ أن أذاقوهم مُرَّ العذاب ، والاضطهادِ أثناء وجودهم في مكةَ .. وكان (بلالٌ) واحدًا من بين هؤلاءِ الذين انطلقوا إلى ساحةِ القتال ، مدافعين عن دينهم العظيم .

وكان شعارُه الذي يصيحُ به طوال المعركة :

أحد أحد .. أحد أحد ..

وتأتي الفرصةُ إلى (بلال) ..

وترتفع يدُه بالسيفِ ويثأر لنفسِه من (رأسِ الكُفْرِ أميةَ ابنِ خلفٍ) ..

هذه اليدُ التي قيدها (أميةُ) يومًا بالأغلالِ والقيودِ ، ليرغم صاحبَها على الارتدادِ عن دينه ..

هذه اليدُ أصبحتْ اليومَ حُرَّة ، تدافع عن دين الحقّ ، عن الإسلامِ ، ونبي الإسلامِ ..

كان (بلالٌ) رفيقا حَمِيْمًا لرسول الله .. لا يكاد يفارقه في أيامِ السِّلْمِ .. ولا في أيامِ الحربِ ، وفي القتال يراه أصحابُه بطلا ، مقاتلا ، مُدافعًا عن الإسلام ، وعن رسولهِ .. ويزدادُ حُبُّ رسولِ الله كل يومٍ لبلالٍ حتى كان يصفه بأنه (رجلٌ من أهلِ الجنةِ) .

على أن هذه المكانةِ التي خَصَّها به رسولُ الله لم تدخلْ في نفسِه غرورًا ، ولا كِبْرًا ..

وكان دائما يردد (أنا الحبشيُّ الذي كان بالأمسِ عبدًا .. كنتُ ضالا فهداني الله .. وكنتُ عبدًا فأعتقني الله) .

وينتقل النبيُّ الكريم إلى الرفيق الأعلى ويغمرُ المسلمين الحزنُ وإن كانوا قد رضوا بقضاء الله ..

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَى

عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ}

[آل عمران : 144]

وكان صحابةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ الناسِ حُزنا، فقد ألفوا صُحْبَته الجميلةَ ، وأحبوا حديثه الطيب ..

فكيف يطيقُ رجلٌ مثل (بلال) أن يبقى في المدينةِ وقد خَلَتْ من الحبيبِ المصطفى الذي كان أحبَّ عنده من نفسه ؟!..

طلب (بلالٌ) من خليفة رسول الله (أبي بكر) أن يأذن له بالرحيل ، لأنه يفضلُ أن يقضي ما بقى من عمره مرابطا(*) في سبيل الله ..

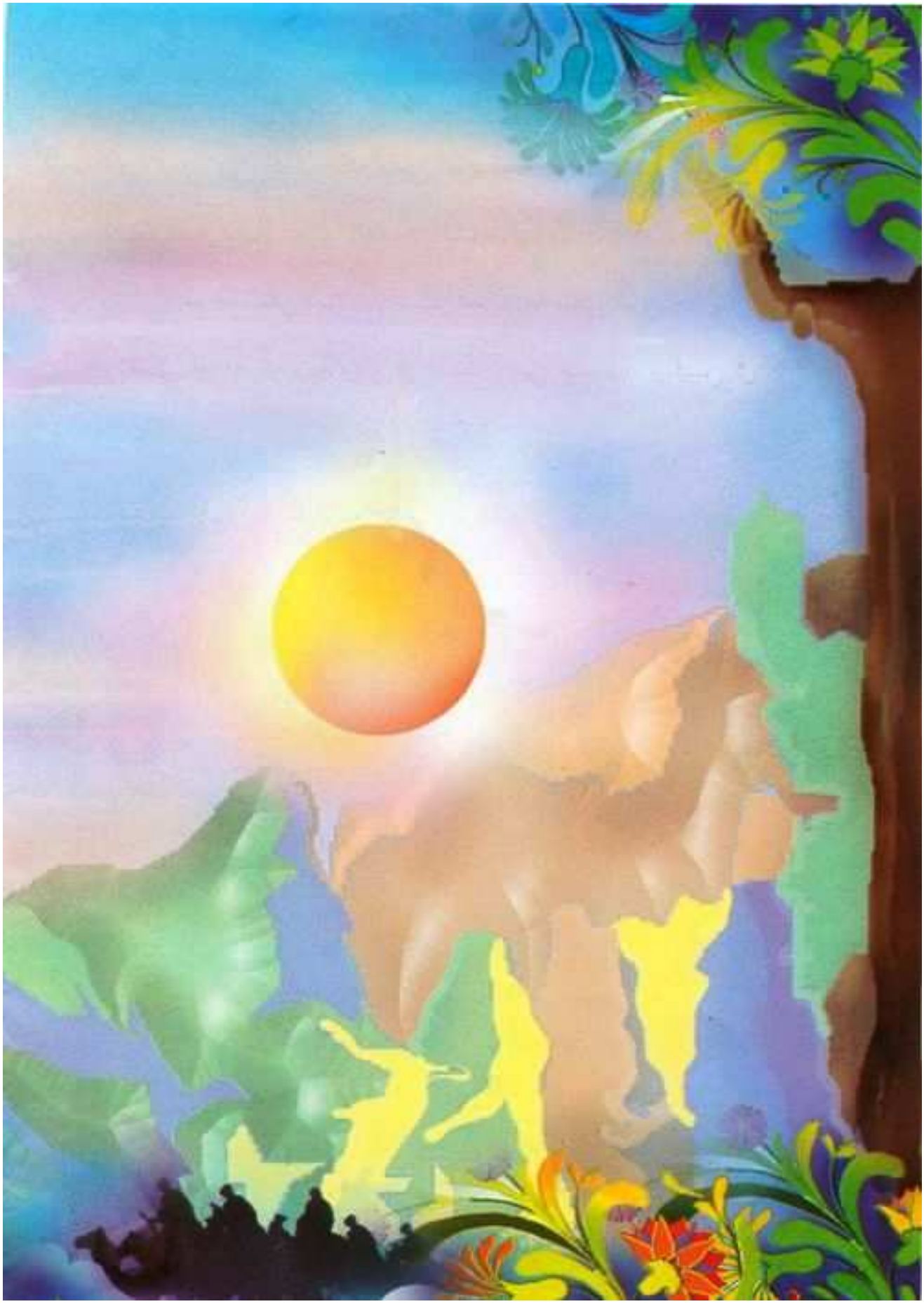
لقد اختار (بلال) هذا الموقفَ ، لأنه سَمِعَ رسولَ الله ـ عليه السلامُ ـ يقول : "أفضلُ عَمَلِ المؤمنِ الجهادُ في سبيل الله"

(*) المرابط هو الرجل الذي يقف عند حدود الوطن حاميًا وحارسًا .

ولا يملكُ (الصديقُ) خليفةُ رسولِ الله إلا أن يلبي رغبةَ (بلال) ، وإن كان قد تمنَّى أن يبقيه في المدينة مؤذناً للمسلمين بها .. وإلى الحدودِ الشماليةِ لدولةِ الإسلامِ – إلى الشامِ – سافرَ (بلالٌ) حيث قَضَى ما تبقى من حياته ، وانتقل إلى جوار ربه وهو في الستين من عمره .. ودُفن في بلاد الشام .

عليه رضوانُ الله .. ورحمتُه ، وبركاتُه ..







3

قصص الصحابة

مهمة في سبيل الله

سلوى العنانى

دار اللطائف

مهمة في سبيل الله

(سلمان الفارسى)

[سلمان منا آل البيت]

صدق رسول الله (حديث صحيح)

عاش هذا الرجلُ نِصْفَ حياتِه يبحثُ عن الهُدى والنورِ ..

ثم قضى باقي سنواتِ عُمْرِه يجاهدُ فِي سبيلِ نُصْرَةِ الدينِ الذي أيقنَ أنه الحقُّ والصدقُ .

كان فتى مدللاً لأبٍ ثَريٍّ يعيشُ في بلادِ فارس (إيران الحالية).. وكان أبوه (مَجُوسِيًّا) يعبدُ النارَ .. وتحمَّس الابن لديانةِ أبيه وتفرغ لخدمتها ووهبَ حياتَه لها ..

وبينما هو في طريقِه يومًا .. إذا هو يَسْمَعُ تراتيلَ النَّصَارى وهم يؤدون صلاتهم في إحدى الكنائسِ ..

ودخل الفتى يستطلعُ الأمرَ.. وسمع حديثَ الرُّهبان

والقساوسةِ وتأمَّلَ هذا الحديثَ الجديدَ بعقلِه وقلبِه ..

فهذا دينٌ يؤمنُ بأن هناك إلها واحدًا . وهو خالق كل شيءٍ . خالقُ السمواتِ والأرضِ والبحارِ والبشرِ والدوابِ والزروعِ .. والنارِ .. هذه النارُ التي يعبدُها (المجوسُ) .. واستيقظت في الفتى فطرتُه السليمةُ .. وآمن أن (النصرانية) خيرٌ من عبادةِ النارِ التي يعتنقها ..

وعادَ الفتى إلى أبيه يقصُّ عليه ما سمع .. كما أفْصَحَ عن رغبتِه في اعتناقِ هذا الدينِ السَّماويِّ (النصرانية) وتَرْكِ عبادةِ النارِ ..

وطال الجدلُ بين الفتى وأبيه .. وأصرَّ الوالدُ على عقيدته وخشى من اقتناع ابنه بهذا الدينِ الجديدِ فَحَبَسَه وقَيَّدَ يديه وساقيه لكن (الحبسَ) و(القيودَ) لم تستطعْ أن تُضعفَ إيمانَ الفتى الذكيِّ بما رآه بعقله قريبا من الحقيقة .

واتصل الفتى سِرًّا بالنصارى فدبروا له فرارًا إلى بلاد

الشام[1] ضمن قافلة تجارة .

وفي الشام عاش داخلَ أحدِ الأديرةِ وصَاحَبَ القساوسةَ ولازَمَ الرهبانَ وأخذَ عنهم تعاليمَ الإنجيل وتدارسَ معهم ما جاء في نصوصه من أخبارٍ .. لكنه كان يبحثُ دائما عن حقيقةٍ يشعرُ أنها مازالتْ غائبةً عنه .. حقيقةً مطلقةً مازالتْ غائبةً عنه ..

وينتقلُ الفتى بين الشامِ والعراقِ وأرضِ الحجازِ ملازمًا الرهبانَ والنُّسَّاكَ يقرأ معهم ، عَلَّه يجد إجابةً عن سؤالِه الذي كان يقلقه دائمًا ..

أين الحقيقة ؟

إلى أن أخبره أحد الرهبان بأن نبيا سيبعثُ على مِلَّةِ النبيِّ إبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ وأن هذا النبيَّ سيأتي بدينٍ كاملٍ ، وأنه سيهاجر من وطنه إلى الأرض التي تحيطها النخيل .

(1) بلاد الشام : هي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن (حاليًا).

ويسافر الفتى من مكان إلى مكان بحثا عن هذا النبي وعن هذا الدين .. وعن هذه الأرض التي تحيطها النخيلُ إلى أن بِيْعَ رقيقًا لرجل من يهودِ بني قريظة في (يثرب)[1].

فلما دَخَلَ الفتى (يثربَ) .. تَلَفَّتَ حوله فوجد النخيلَ يحيطُ بها فَشَعَرَ أنه قد وَجَدَ ضالَّتَه التي كان يبحثُ عنها .. فهذه المعالمُ تشبه المعالمَ التي وصفها الراهبُ الطَّيِّبُ يومًا ما ، لكن .. أين النبيُّ الذي سيأتي باليقينِ الذي يفتشُ عنه الفتى منذُ سنواتٍ ..

ويأذن الله لرسوله بالهجرةِ إلى (يثربَ) التي حملت بمقدمه إليها اسمَ المدينة المنورة ..

ويعرف الفتى بمقدمِ (محمدٍ) ويسأل عنه وعن دينه الجديدِ ويتحقق بعقلِه وقلبِه أنَّ هذا هو النبيُّ الذي قضى نصفَ عمره يبحثُ عنه وينتظره .

فقد كان مؤمنًا أن هذا النبيَّ سيأتي بالحقِّ ..

---

(1) يثرب : هي المدينة المنورة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها .

كل الحقّ الذي كان يبحثُ عنه ..

الحقُّ الذي تَرَكَ من أجله وطنَه وأهلَه وثروتَه - بل وحريتَه - ورفضَ من أجلِه دينَ آبائه وأجدادِه..

صحيحٌ أنه كان مُوَحِّدًا عندما اعتنق (النصرانيةَ) لكنه كان قَلِقًا دائما ..

يشعرُ أن فى داخله سؤالا آخر لم يسمعْ بعد إجابته ..

كان يعلم أنه يسمعُ هذه الإجابةَ من النبيِّ الجديدِ (محمدٍ) .

ويجلس الفتى بين يدي رسولِ الله ليعلن إسلامَه شاهدًا أنَّه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسولُ الله ..

هذه هي رحلة (سلمانَ) الفارسيِّ من الكُفْرِ إلى الإيمانِ .. من الشَّكِّ إلى اليقين ..

فهل كان إسلامُ (سلمانَ) هو النهايةُ الذي هدأتْ عندها نفسُه واطمأنَّ قلبُه وزال عنه القلقُ والرغبةُ في السعي إلى الحقِّ ..

لا .. لم تكن هذه هي نهاية الرحلة ..

بل كانت بداية لرحلة أخرى أروع وأعظم من الأولى ..

فها هو قد سَعِدَ باطمئنان قلبه ودخولِه في دينِ الإسلامِ .. كما حَظِيَ برفقةِ نبيِّ الله الذي طالَ بحثُه عنه .. وعليه الآن أن يدافعَ عن هذا الدينِ الذي آمن به قبل أن يعتنقه ..

وعن الرسولِ الذي صَدَّقه قبل أن يلقاه ..

وعن إخوته المسلمين الذين أحبهم من قبل أن يعرفهم ..

وعن المدينة المنورة – عاصمة الإسلام – هذه المدينة التي كان يحلمُ بسكناها قبل أن يدخلها .

كان العام الخامس للهجرة .. وقد أرست دولةُ الإسلامِ قواعدَها في المدينةِ المنورةِ بينما دخلت في الإسلام عشراتُ القبائلِ من أنحاء الجزيرةِ العربيةِ .. وأصبح الدينُ الجديدُ يشكِّلُ قوةً متزايدة النمو ..

وبدأت قريشُ وأحزابُها من الكفارِ واليهودِ يخشون محمدًا وصحبه .. فاجتمعوا فيما يزيد على أربعةٍ وعشرين

ألف مقاتلٍ تحت قيادةِ (أبي سفيان بنِ حرب) وزحفـوا إلى المدينةِ حيث كان المسلمون أقل عددًا وعُدَّةً ..

يـا الله .. إنـها مؤامـرةٌ كُـبْرَى هَدَفَـها محـو أثـرِ الإسـلامِ والقضاءِ على رسولِه وأتباعه ..

واجتمع النبيُّ الكريمُ وأصحابُه الكرامُ يتشـاورون وقـد أحسـوا بخطـورة مـا يحيـط بـهم .. فـهم رغـم شـجاعتهم وبسالتهم واستعدادهم للتضحية لا يمكنهم مواجهـة هـذا الجيش الكبير ..

هنا وقف واحدٌ من صحابةِ رسـولِ الله واقـترح عليـه أن يتم حفرُ خندقٍ يغطي الجزءَ المكشوفَ من المدينة .. فالجبـالُ تحيطُ بالمدينةِ من كل ناحيـةٍ .. إلا جـزءًا واحـدًا هـو الـذي يشكل خطورةً عليها..

أيُّ فكرةٍ عبقريةٍ هذه .. ومن هو صاحبها ؟

لقد كان وراء هذه الفكرة شـابٌّ مسـلمٌ فارسـيُّ الأصـل عاش رحلة طويلة من البحث عن الحقيقة فتركَ دينَ أهلـه

(المجوسية) إلى (المسيحية) ثم اعتنق الإسلامَ لـمَّـا رأى فيـه كل الحقيقة التي كان يبحث عنها .

وفي سبيل هذا الهدف تـرك (سـلمانُ) خلفَـه ثـراءَ أبيـه العريضَ وهام في أرضِ الله حتى يُبْعَ في سوق الرقيق ..

لكنه اليوم هنا .. إلى جوار رسول الله يقدمُ له ولصحابته المشورةَ والنصيحةَ .. ويقترح فكـرةً رائعـةً وخدعـةً حربيـةً جديدةً لا قِبَل للعرب بها ..

نعم .. فقد كان صاحبُها هـو (سـلمان الفارسـي) الـذي يعـرف مـن فنـون الحـرب في فـارس مـا لا يعرفـه إخوانـه العرب .

واقتنع النبيُّ وبـاقي الصحابـةِ بـالفكرةِ وتسـابقوا علـى تنفيذها فحفروا الأرض وحطموا الصخورَ وحملوا الأحجار والأتربة .. ولما انتهى العمل شعر المسلمون بالأمـان حيـث يصعب على أعدائهم الوصولُ إليـهم مـهما كـان عددهـم وعُدَّتهم ..

وكانت مفاجئةً لقريشٍ وللأحزابِ معها .. ما هذا الخندق .. إنه شكل جديد من أشكال الدفاعِ والتحصينِ لم يعرفوه من قبل.. وكيف يمكن للخيلِ والإبلِ والفرسانِ أن تعبرَ الخندق لملاقاة المسلمين ومحاربتهم ؟!

وأُسْقِط في يد الكفار ..

وعسكروا في الجهة الأخرى من الخندقِ يناوشون ببعضِ النبالِ والسهامِ .

في هذا الوقت .. حاول اليهودُ ممارسةَ هوايتهم في الخيانةِ والوقيعةِ .. وتآمروا لضربِ المسلمين من الخلفِ .. وكان يهودُ بني قريظةِ الموجودون بالمدينة قد عاهدوا النبيَّ محمدٍ على نُصرةِ المسلمين .. لكن المسلمين كانوا على حَذَرٍ ويقظةٍ فوتت على هؤلاء اليهود فرصة الغدر والخيانة ..

خمس وعشرون ليلة .. والكفارُ يرابطون أمام الخندقِ يناوشون ويغامرُ بعضُهم بالقفز .. لكنها كانت مغامرة فاشلة ..

ويأتي أمرُ الله .. رياحٌ وعواصفُ تقتلع الخيامَ وتطفئ النارَ وتكفئ القدورَ .. وأمطار وبرق ورعد وأعاصير .. وساد الرعب بين جيش الأحزاب الكافرة .. وعمت الفوضى والهرج وأسلم الجميعُ نفسَه للفرارِ ..

وهكذا .. نصرَ الله عبدَه ..

وأعزَّ جندَه ..

وهزمَ الأحزاب وحده .

وكان النصرُ للمسلمين بأمرِ الله وبفضلِ اقتراحِ (سلمان) ، هذا الرجل الذي استطاع بصدقِ إيمانه وصحيحِ إسلامِه وذكائه وفطنتِه وثقافتِه أن يحتلَّ مكانةً خاصةً في قلبِ رسول الله ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ حتى قال عنه يوما :

"سلمان منا آل البيت" .

أما (علي بن أبي طالب) كَرَّمَ الله وجهَه فكان يناديه (لقمان الحكيم) إعجابا بذكائه وحكمتِه ورجاحةِ عقلِه .

ويفتح الله على المسلمين أنحاءَ الأرضِ .. وتعيشُ (المدينةُ المنورةُ) عاصمة الإسلام أيامًا رغدة ورخاء في عهد خلفاءِ رسولِ الله الراشدين ـ أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ وتُوزَّعُ الغنائم والعطايا على المسلمين . فماذا كان نصيب (سليمان الفارسي) من هذه العطايا ؟

كان نصيبه يتراوح بين أربعة آلاف وستة آلاف درهم في العام ..

إلا أن النفسَ النقيةَ التقيةَ كانت تزهد كل هذا وتوزعه صدقةً على الفقراءِ وتَرْفُضُ أن تحتفظ لنفسها أو لأسرتها بدرهم واحد ..

فكيف كان إذا يعيش (سلمانُ) ومن أين ينفق على نفسِه وعلى عياله ؟

أصرَّ (سلمان) أن يعيش من عمل يده ..

فماذا كان هذا العمل ؟ .. وهو الذي كان طفلا مدللا وشابًّا مترفا يعيشُ في بَحْبُوحَةٍ من العيشِ في ظل ثراء

أبيه .. فلم يحترف حرفةً ولم يمتهن مهنةً ولا صنعة ..

فماذا فعل ؟ ..

احترف (سلمانُ الفارسيُّ) جَدْلَ الخُوْصِ وتضفيره يصنع منه بعض فُرُش الأرض أو يصنع منه أوعية تستعمل في حمل الأغراض..

ولنسمعه يحدثنا عن عمل يومه :

(أشتري خوصا بدرهم .. فأعمله ثم أبيعه بثلاثة دراهم .. فأعيد درهما فيه وأنفق درهما على عيالي وأتصدق بالثالث) .

كم كان (سلمانُ) إنسانًا عظيمًا ..

صافيا زاهدًا ..

كانت نظرتُه إلى الدنيا باعتبارها دارَ عملٍ وكَدٍّ ..

وصدقة وإحسان ..

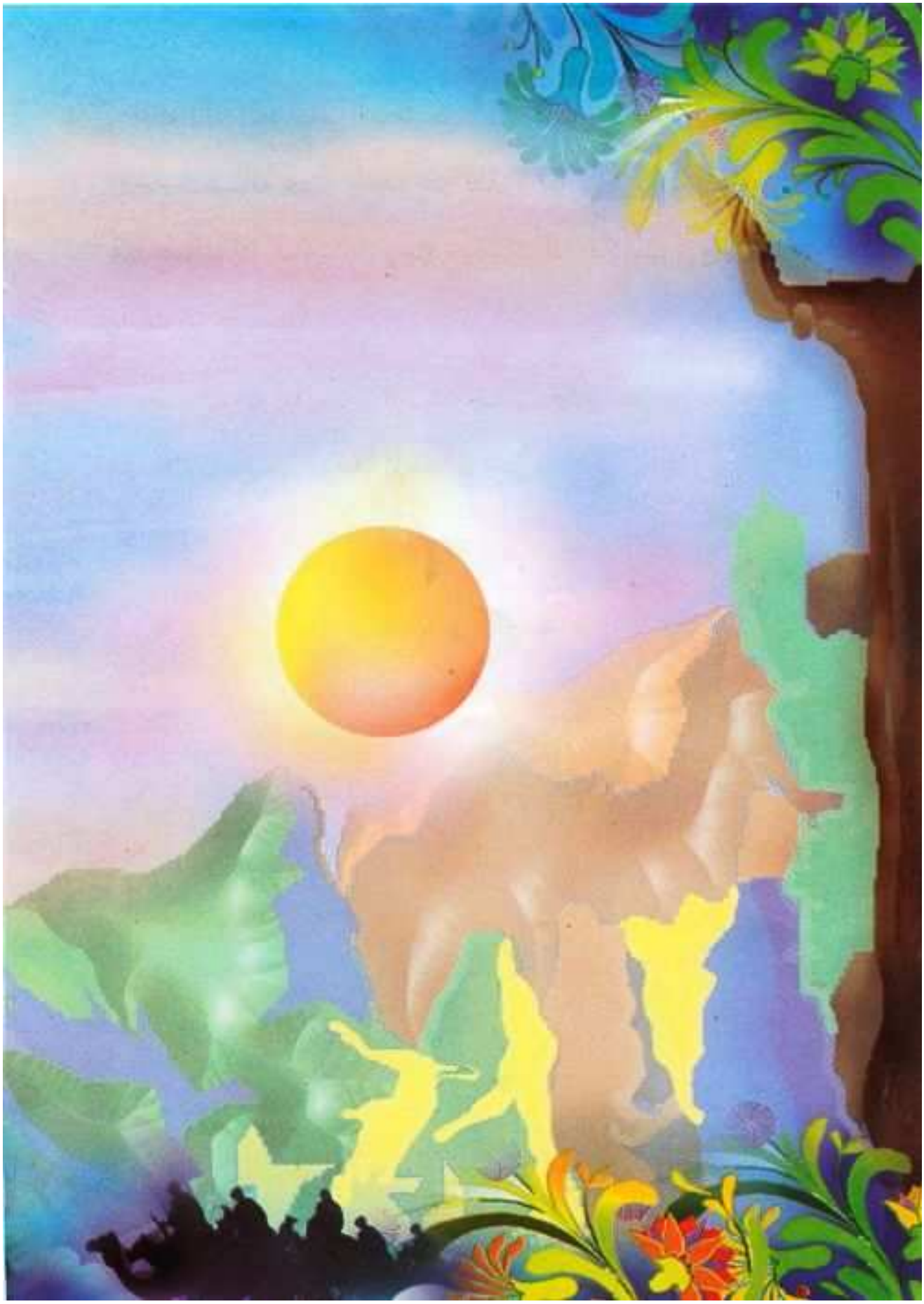
أما الترف والراحة فهي ليست من شيم المؤمنين الصادقين .

عاده (*) الصحابيُّ (سعد بن أبي وقاص) أثنـاء مرضـه الأخير .. فسأله عهدًا يأخذه عنه فقال : (يا سعد .. اذكـر الله عند هَمِّكَ إذا هَمَمْتَ .. وعند حُكمك إذا حكمت .. وعند يديك إذا قَسَمْتَ).

رضـوان الله عليـك يـا مـن وجـدت ضَـالّتك في ديـن الإسلامِ .. فكنت نموذجًا للمسلمِ الحقِّ .



(*) اي زاره أثناء مرضه .





4

قصص الصحابة

امـــــــرأة من أهـل الجنـة

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

امرأة من أهل الجنة

(بـــركـــة)

[أم أيمن أمي بعد أمي]

صدق رسول الله

سنتحدثُ الآن عن واحدةٍ من خيرِ النساءِ المسلماتِ اللواتي لازَمْنَ الرسولَ ـ عليه السلامُ ـ منذ لحظةِ مولده وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى ..

كان اسمها (بركة) .. فلما تزوجت أنجبت صبيا أسمته (أيمن) ومن يومها عُرفت باسم (أم أيمن) .. وبهذا الاسم تحدثت عنها كتبُ السِّيرة ، ونحن عندما نتحدث عنها قبل ميلاد (أيمن) سنسميها (بركة) أما بعد ميلاد أيمن فسنطلق عليها اسم (أم أيمن) .

●●●

كان شابًّا من أكرم شباب مكة .. فهو سليلُ أشرف عائلاتها وابنُ أعرقِ قبائلها .. وكان الجميع يتطلع عليه – كلما غدا أو راح – بإكبارٍ وإعزازٍ واحترامٍ .. فهو فوق كل

ما ذكرنا .. شابٌّ وسيمُ الطلعة .. في مشيته رجولة .. وفي حديثه حكمة وفي مجلسه أُنْس ..

هو عبدُ الله بنُ عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي .

هو الشابُّ الذي افتداه أبوه بمائةٍ من الإبل وفاء لنذر .. وكان هذا هو أغلى فداءٍ دفعه أحدُ العرب حتى هذا التاريخ .

ولما بلغ عبدُ الله الرابعة والعشرين رغب أبوه أن يزوجه ، وكان لابد أن يبحث عن فتاة لا تقل شَرَفا ولا حَسَبًا عن ابنه .. وجد هذه المواصفات في آمنةَ بنت وهب ابن عبد مناف سيد بني زهرة .

يا له من اختيار .. أن يتزوج ابن سيدِ بني هاشم من ابنة سيد بني زهرة .. وتمضي الأسابيع بالعروسين مُسْرعة .. وتشعر الزوجة الشابة بأعراض الحمل ، لتدخل سعادةٌ جديدةٌ إلى حياةِ هذه الأسرة الصغيرة .

لكن إقامة الزوج مع زوجته لم تَطُلْ .. فقد خَرَجَ في تجارة إلى بلاد الشام وترك عروسه في بيت أبيه ومعها جاريتُه الحبشية (بركة) .

مضت الأيام على آمنة بطيئة متثاقلة .. وكيف لها أن تَسْعد وقد سافر زوجها بعد أسابيع قليلة من زواجهما .

ويأتي الناعي بخبر وفاةِ فتى قريش .. زينة فتيان بني هاشم .. وسيم الطلعةِ ، جميل الأخلاقِ .. وتتهاوى (آمنة) .. وتنهار قواها.. وتشعر أن الدنيا قد خلت من الحُبِّ والسعادة .. إلا أنَّ (بركة) الجارية الحبشية كانت نِعْمَ المُعين وخَيْرَ رفيقٍ (لآمنة) .. فكانت ترعاها وتهتم بحملها .. وتسري عنها بالحديث ..

كانت (بركةُ) ضمن الإرث المتواضع الذي تركه (عبدُ الله).. وكان هذا الإرث يشمل خمسةً من الإبل وقطيعًا من الأغنامِ .. وهذه الجارية الطيبة الحنون (بركة) ..

وتتقدم شهورُ الحمل (بآمنة) حتى تأتي ساعة المخاض .

وتقف (بركة) إلى جوار سيدتها تساعدها وتخفف عنها آلام الوضع حتى تستقبل المولود على يديها .. تُسرع إليه فتلفه وتحتضنه في حُبٍّ .. ولم لا .. إنه الحبيب ابن الحبيب والحبيبة ..

وأسرعت (بركة) بالوليد إلى جَدِّه الذي كان جالسًا بجوار الكعبة فَسُرَّ به وقبله وطاف به متباركا .. ثم أسماه (محمدًا) .

هكذا كانت (بركة) هي أول حضن ضَمَّ محمدَ بن عبد الله لتظل إلى جواره لا تفارقه حتى يلقى ربَّه .

ورضيت (آمنة) بقضاء الله ورأت في ابنها (محمد) خير عِوَضٍ عن فَقْد زوجها الذي اختطفه الموت منها وهو ما زال شابا .. فضاعفت حنانها ورعايتها له ، وكان من عادتها أن تسافر مرة في كل عام إلى (يثرب) حيث بني عدي (أخوال عبد المطلب جد ابنها محمد) .. وتزور قبر زوجها الحبيب .. وكان يصحبها في رحلتها ابنها وخادمته (بركة) التي لم تكن تفارقها أبدا ..

وتروي لنا (بركة) عن ذكريات إحدى هذه الزيارات (ليثربَ) فتقول :

(أتاني رجلان من اليهود يوما نصف النهار فقالا : أخرجي لنا أحمد ، فأخرجته فنظرا إليه وقبلاه مليا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هذا نبيُّ هذه الأمة .. وهذه دارُ هجرته ، وسيكون بهذه البلدة من القتل والسبي أمرٌ عظيم .

قالت بركة : ووعيت ذلك كله من كلامهما) .

لقد بشَّرت كتبُ الأديان السماوية السابقة على الإسلام برسالة محمد وذكرت أوصاف هذا النبي وظروف دعوته ..

إلا أن عددًا كبيرًا من أتباع هذه الأديان (خاصة اليهود) لم يؤمنوا بمحمد ولا بدعوته .. وها هي (بركة) مربيته الرؤوم تروي هذه الرواية التي تؤكد علم هؤلاء بقرب ظهور نبي .

وفي طريق العودةِ من إحدى هذه الزيارات .. وكان (محمدٌ) في حوالي السادسة من عمره .. مرضت (آمنة) ثم اختطفها الموتُ لتُدفن – هي الأخرى – بالقرب من (يثرب) .

حزن الفتى (محمدٌ) حزنا شديدا من أجل أمه .. بغيابها ستحيطه الوحدةُ والوحشةُ .. فقد كانت هي مصدرَ حنانِ الوجودِ .. بعد فقده لأبيه .

لابد أنه كان موقفا قاسيا على (بركة) التي استيقظت فيها مشاعرُ الأمومة .. وعَصَرَها الألمُ لحال هذا الطفلِ الذي كُتِبَ عليه اليتمُ من أبيه ومن أمه وهو لم يزل ابن السادسة .. وشعرت (بركة) بأنها أمام مسئوليةٍ كبيرةٍ .. فهي جاريةُ الطفلِ التي ورثها عن أبيه .. وهي المخلوقُ الوحيدُ المتفرغ لخدمته .

وإلى بيت جده (عبد المطلب) عاد (محمد) ومعه (بركة) التي ظلت ترعى شئونه وتقوم على خدمته .. وكانت له

نِعْمَ الأم بعد أمه .

ومن ذكريات هذه المرحلة تحكي لنا بركة هذه الحكاية :

(كنت أحضن(*) رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفلت عنه يوما فلم أدر إلا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول : يا بركة !

قلت : لبيك .. قال : أتدرين أين وجدت ابني (يعني حفيده محمدًا) .. قلت : لا أدري .. قال : وجدته مع غلمان قريبا من السدرة ، فلا تغفلي عنه ، فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبيُّ هذه الأمة ، وأنا لا آمنهم عليه) .

إذا .. فقد كانت معرفة أهل الكتاب بنبوة (محمد) أمرا معروفا ومنتشرا حتى إن جدَّه كان شديدَ الحرص عليه .. يوصي (بركة) ألا تغمض عينيها عنه لحظةً خشية أن يتعرض له أحد بأذى . كان الجد (عبد المطلب) شديدَ التعلق بحفيده (محمد) فهو ابن (عبد الله) الفتى الذي لم تشهد له مكةَ نظيرًا في الجمال والحكمةِ والوسامةِ والرزانةِ .. الفتى الذي افتداه أبوه بأغلى ما يفتدي أبٌ ابنه حتى هذا التاريخ .

(*) أحضن : أقوم على رعاية الطفل وخدمته .

وتضاعف حنانُ الجد على حفيده بعد موت أمِّه (آمنة) وتضاعفت مسئوليتُه عنه .. لكنه كان يرى في (بركة) خيرَ مُعين له على تحمل هذا .. فهي بديلٌ عن الأمِّ حنانا ورعاية .. وبديلٌ عن الأب مراقبة وحماية .

وتروى الأخبار أن (عبد المطلب) .. وهو سيد قريش وكبير أشرافها كان يُصِرُّ على أن يجلس (محمد) إلى جواره على الفراش المخصص له بينما يجلس باقي أبنائه بعيدا . وكان كثيرا ما يربت على كتفه ويسمعه حلو الكلمات ، وكأنه يتمنى أن يُخفِّفَ عن كاهلِ هذا الصغير ألمَ اليتم الذي عاناه ..

ولحكمة لا يعلمها إلا الله وحده ماتَ الجدُّ (عبد المطلب) بعد عامين من موت (آمنة) لينطفئ آخر مصابيح الحنان في حياة (محمد).

ويروى أن محمدًا بكى جدَّه بحرقة شديدة .. فقد كان يبكي فيه الجد الحنون .. والأبَ الذي مات قبل أن يُولد .. والأم التي حرمه الموت من دفء أحضانها .

لكنَّ عينَ (بركة) لم تكنْ تغفل لحظة عن الصبيِّ .. ولم تبخلْ عليه بالحبِّ والحنانِ والدفءِ وصدق الرعاية ..

وكأنها تحاول أن تعوضه عما فقد .. مرة بعد الأخرى .

وبعد موتِ (عبد المطلب) انتقل (محمدٌ) ومعه (بركة) إلى بيت عمه (أبي طالب) الذي كَفَلَ الصغيرَ بعد جده .. وتتمسك (بركة) بصغيرِها وتصرُّ على رفقته ورعايته وتحرص على كل شئونه ..

ومما ترويه ـ رضى الله عنها ـ عن طفولة النبيِّ صلى الله عليه وسلم.. تقول : (ما رأيت رسول الله شكا جوعا ولا عطشا لا في كِبَرِه ولا في صِغَرِه .. كان يغدو إذا أصبح فيشربَ من ماءِ زمزم شربة .. فربما عرضنا عليه الغذاء فيقول : أنا شبعان) .

لم تكن طفولةُ النبيِّ ـ عليه السلامُ ـ ولا صِباه مثل طفولة وصِبَا باقي أقرانه وأترابه بل كان نسيجا خاصا وطبيعة مختلفة.. كان كثيرَ التأمل .. هادئ الطبع .. مبتعدًا عن أماكن اللهو والعبث .. كثير الصمت وكأنه يفتش عن حقيقة يراها غائبة ..

وكان في نفس الوقت عازفا عن الطقوس والاحتفالات الدينية التي تُقام للأصنام والأوثان .

فكما عَصَمَه الله من الهوى التي يَزِلُّ فيها بعضُ

الشباب .. عصمه عن السجود للأصنام ..

تروي (بركةُ) أنه كان (ببوانة)(*) صنم تحضره قريش وتعظّمه وتنسك له النسائك ويحلقون رؤوسَهم عنده ويعكفون عنده يوما إلى الليل ، وذلك يوما في السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلمُ رسولَ الله ـ عليه السلام ـ أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى رسولُ الله ذلك ، حتى رأيت أبا طالب غَضِبَ عليه ورأيت عماته غَضِبْنَ عليه يومئذ أشد الغضب ، وجعلن يقلن : ما تريد يا محمدُ أن تحضر لقومِك عيدًا ، ولا تُكثر لهم ؟

قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوبا فَزِعا ، قالت عماته : ما دهاك؟.. قال : إني أخشى أن يكون بي لمم .. فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خِصَال الخير ما فيك .. فما الذي رأيت؟

قال : إني كلما دنوت من صنم منها تمثَّل لي رجلٌ أبيض طويلٌ يصيح بي : وراءك يا محمد لا تمسه .. فما عاد إلى عيد لهم حتى تنبأ)(**) .

(*) ببوانة : منطقة قريبة من ساحل البحر الأحمر .

(**) تنبأ : نزل عليه وحي النبوة .

كان (محمد) عليه السلامُ إنسانا رقيقا مرهف الحسّ صادقَ المشاعر .. فقد أدرك مدى إخلاص خادمته (بركة) وكان يقدّر ما تصنع من أجله ويشعرُ بعواطفها الصادقة تجاهه ..

فلما تزوج ـ عليه السلامُ ـ من السيدة خديجة أعتق (بركة) تقديرا لما صنعت وعرفانا بجميلها .. إلا أن (بركة) لم تترك بيتَ (محمدٍ) ولم تجدْ في عِتْقها أي امتياز يجعلها تغادره .. فقد كان سيدها يُحسن معاملتها ويشعرها دائما بآدميتها ويقدر عطاءها .. وهذا هو نبي الإسلام محمد .. يكرم خادمه ويطعمه مما يطعم ويكسوه مما يَلبس ولا يسمعه ما يجرح إنسانيته ولا ينهره أبدا حتى لو أخطأ .

لقد أصرَّتْ (بركة) على صُحبة النبي وهي حُرة .. كما أحبت صُحبته وهي جارية .. فقد كانت أقرب الناسِ إلى رسول الله وكان يناديها (يا أمَّه) وكثيرا ما قال عنها .. (هذه بقية أهل بيتي).

وتزوجتْ (بركةُ) من رجل من بني حارث يدعى عبيد ابن زيد وأنجبت منه (أيمن) الذي كانت تُنادَى باسمه وأصبحت تعرف (بأم أيمن) ولما نزل الوحي على رسول

الله ـ عليه السلام ـ كانت (أم أيمن) و(أيمن) من أوائل من دخل الدينَ الحنيفَ وكان ولاؤهما للنبي الكريم ولاء لا نظيرَ له ..

وتقول بعض الروايات إن (أم أيمن) هاجرت بدينها مع من هاجَر من المسلمين الأوائلِ إلى الحبشة ..

لكنها هاجرت بكل تأكيد مع النبيِّ إلى المدينة ..

ويموت (عبيد بن زيد) زوج (أم أيمن) وتستيقظُ في قلب النبي مشاعر البنوة تجاه المرأة التي يقول عنها (أمي بعد أمي) ويشعر بمسئوليةٍ تجاهها وتجاه استقرارها وأمنها .. فيرى أنه يجب عليه أن يزوجها .

جلس النبيُّ يوما بين أصحابه وقال لهم : من سَرَّه أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج (أم أيمن) .

ويبادر (زيدُ بن حارثة) حِبُّ رسولِ الله ومولاه .. ليتزوج هذه السيدة الفاضلة .

كان (زيدُ) لا يقل فضلا عن (أم أيمن) . فهو من السابقين إلى الإسلام وهو الذى آثر البقاء مع النبي عن العودة لأهله ، وهو الذي قالت عنه السيدة عائشة : (ما بعث رسول الله زيدَ بن حارثة في جيش قط إلا أمَّره

عليهم .. ولو بقي حيا بعد الرسول لاستخلفه) .

وها هو (زيد) يبادر ليتزوج امرأة تقية صالحة رغم أنها تكبره سنا وليس لها مال ولا جمال يغري شابًّا في مثل سن (زيد) .. لكنه اختارها لتقاها وورعها وحُسن إسلامها .. وهو يأخذ بنصيحة رسول الله (اظفر بذات الدين) .. وقد ظَفَرَ زيدُ بن حارثة بذات الدين التي قال عنها الرسول : (امرأة من أهل الجنة) .

ويثمر الزواجُ فتى مسلما تشهدُ له ساحاتُ القتالِ في سبيل الله والجهاد لنصرة دينه هو (أسامة بن زيد) الذي قاد جيشَ المسلمين في عديد من المعارك والمواقف وخرج فيها جميعا منتصرا .

فهل اقتصر دور (أم أيمن) في الحياة على حَضانة النبيِّ وخدمته ثم حضانة أولادها (أيمن) و(أسامة) وتربيتهم على مبادئ الإسلام حتى أصبحا من أعلام الدعوة الإسلامية ؟

لا .. لم يكن هذا هو دور أم أيمن فقط .. وهو دور عظيم ورائع أدَّته هذه السيدةُ العظيمة على خير وجه ..

لكنها كانت فوق هذا الدور محاربةً صامدةً .. فقد حَضَرتْ كل المشاهدِ والغزوات مع رسول الله .. و كان دورُ

النساء في هذه المعارك خلف صفوف المقاتلين دائما ..

في أُحُدٍ .. كانت (أم أيمن) مع غيرها من النساء تداوي الجرحى وتسقي المحاربين .. وفي خيبر كانت تحارب مع المحاربين وتخدم المقاتلين خلف صفوف القتال حتى إن النبيَّ ـ عليه السلامُ ـ كان يعطيها حقها من (الفيء)(*) .

عُمِّرت (أم أيمن) حتى جاوزت التسعين .. وشهدت وفاة النبيِّ ـ عليه السلامُ ـ ووفاةُ أبي بكر وعمر .. وكان بكاؤها على النبيِّ بكاء حارا .. فهو الابن الحبيب .. وهو الرسول الكريم .

عاشت (أم أيمن) تذكر كيف كان النبي يمازحها .. فقد طلبت منه يوما أن يحملها – أي يعطيها ناقةً تركبها في سفر – فقال عليه السلام : أحملك على ولد ناقة .. فظنت أنه يريد أن يحملها على فصيل(**) .. فقالت : يا رسول الله .. لا يطيقني ولا أريده .. فقال: لا أحملك إلا على ولد ناقة ..

وكان الرسول يمزح ولا يقول إلا الحق .. فالإبل كلها ولد ناقة ..

(*) الفيء : غنائم الحرب

(**) الفصيل : هو وليد الناقة .

ومن المواعظ النبوية التي نقلتها لنا (أم أيمن) أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

"لا تشرك بالله شيئا وإن عُذبت وإن حُرقت ، وأطع والديك وإن أمراك أن تخرج من كل شيء هو لك فاخرجْ منه ، ولا تتركْ صلاةً مكتوبةً عمدًا .. فإن من ترك الصلاة عمدًا فقد برئت منه ذِمة الله .. وإياك و الخمر .. فإنها مفتاح كل شر ، وإياك ومعصية الله فإنها موجبة لسخط الله ولا تَغْلُلْ(*) ولا تفر يوم الزحف وإن هلكت وفَرَّ أصحابك ، وإن أصاب الناسَ مَوَتان(**) وأنت فيهم فاثبت ، ولا تنازع الأمرَ أهله ، وإن رأيت أنه لك ، وأنفق من طَوْلك(***) على أهل بيتك ولا ترفع عصاك عنهم أدبا ، وأخفهم في الله عز وجل" صدق رسول الله .

(*) الغلول : هو الخيانة .
(**) الموتان : هو الوباء .
(***) الطول : الغنى واليسر .



5

قصص الصحابة

الأم والفارس الشهيد

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

الأم والفارس الشهيد

(أسماء بنت أبى بكر)

[إن لكِ بنطاقِك هذا نطاقين في الجنةِ]

صدق رسول الله ﷺ

هذا مشهدٌ لن ينساه التاريخُ ، لأنه مشهدٌ يرتفعُ بالمشاعرِ الإنسانيةِ إلى مستوًى يصعبُ تصديقُه .. فهو مشهدٌ للـولاءِ للفكرةِ، وللعقيدةِ ، ومشهدٌ للتضحيةِ ، والشجاعةِ ، وقـدرةِ الإنسانِ اللانهائيةِ على العطاءِ ..

المكانُ : بيتٌ بسيطٌ من بيوتِ مكةَ .

الزمانُ : الثلاثاءُ .. السابعَ عَشَرَ من جُمَـادَى الأولى سـنة 73 هـ .

أبطالُ المشهدِ : رجلٌ جاوزَ السبعين . وأمُّه الـتي شـارفَتْ على المئةِ ..

الابنُ يرتدي ثيابَ الحربِ ، ويستعدُ للخروجِ إلى معركـةٍ يعلم مسبقًا أنه لن يعودَ مِنهَا ، فقد تفرقَ عنـه الصِّحـابُ ،

والولدُ، والأهلُ .. أما الأمُّ فقد كُفَّ بصرُها، وظهرتْ عليها علاماتُ السنين إلا أن نورًا خفيًّا كان ينيرُ وجهَهَا، ويضيءُ كلماتها ..

دخلَ الابنُ على أمه يقبل يَدَها، ويسألها المشورةَ .. فماذا هو فاعلٌ ؟.. هل يواصلُ حربَه؟ .. وكفةُ الخصمِ راجحةٌ لا محالةَ.. فهم ألوفٌ مؤلفةٌ، بينما لم يتبقَ حوله إلا نفرٌ قليلٌ .. أم يُسَلِّمُ لهؤلاءِ الخصومِ، وقد عرضوا عليه أمنَه، وسعادتَه مقابلَ تخليه عن قضيته ؟

فماذا تقولُ الأمُّ في هذه اللحظةِ .. وهذا ولدها مقبلٌ على موت محقق ؟!

قالتْ الأمُّ : (واللهِ يا بنيَّ أنتَ أعلمُ بنفسِك .. إنْ كنتَ تعلمُ أنَّك على حقٍّ فامضِ له .. فقد قُتِل عليه أصحابُك، وإنْ كنتَ إنما أردتَ الدُّنيا فبئسَ العبدُ أنتَ .. أهلكتَ نفسَك، ومن قُتِلَ مَعك، وإنْ قلتَ إني على حقٍّ، فَلَمَّا وَهَنَ أصحابى ضَعِفْتُ .. فهذا ليسَ فِعْلَ الأحرارِ، ولا أهلَ الدين..) ، وانحنى الفارسُ وقَبَّلَ رأسَ أمه، وأمسكَ

كَفَّها بين كَفَّيْهِ ، وقالَ : (هذا رأيي لكني أحببتُ أن أعلم رأيك ، فزدْتِني بصيرةً .. فانظري يا أماه إني مقتولٌ من يومي هذا .. فلا يشتدُّ حزنُك لأمرِ الله .. فإن ابنك لم يتعمدْ إتيان منكرٍ ، ولا عملَ بفاحشةٍ ، ولم يَجُرْ في حكمٍ ، ولم يتعمدْ ظلمَ مسلمٍ ، ولا معاهدٍ) .

ثم اختنقَ صوتُ الفارسِ ، ورفع رأسَه إلى السماءِ ، وقال : "اللهمَّ إني لا أقولُ هذا تزكيةً لنفسي ، ولكن تعزية لأمي ، لتسلو عني" .

حَبَسَتْ الأمُّ دموعَها ، وصَمَتَتْ قليلا ثم قالت : (إني لأرجو أن يكونَ عزائي فيك حَسَنًا ، فاخرجْ حتى أنظر إلى ما يصيرُ إليه أمرُك) .

عاد الفارسُ ، فَقَبَّلَ يدي أمَّه ، ورأسَها ، ثم عانقها .

أما الأمُّ فقد رفعتْ كفَّيها ، ضارعةً وهي تردد : "اللهم ارحمْ طولَ قيامِه في الليلِ وظمأه في المهاجرِ ، وبِرَّه بأبيه ، وبي .

اللهم قد أسلمته لأمرِك فيه .. ورضيتُ بما قَضَيْتَ ،

فأثبني في وليِّي عبدِ الله ، ثوابَ الشاكرين الصابرين"

التفت الفارسُ إلى أمه وقال :

(إني أخافُ أن يُمَثَّلَ بي بعدَ موتي) .

فرفعت الأم رأسَها في شموخٍ وقالتْ :

(إن الشاةَ لا يضرُّها سَلْخُها بعدَ ذَبْحِها) .

ربما ظن القارئُ أن هذا مَشْهَدٌ مسرحيٌّ مؤثرٌ .. لكنه ليسَ كذلك .. إنما هو مشهدٌ حقيقيٌّ سجله التاريخُ لبطلين عظيمين.

الأمُّ هي أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ بنِ أبي قحافةَ رضي الله عنهما.

أما الابنُ فهو عبدُ الله بنُ الزُّبير بن العوامِ .

كانت (أسماءُ) قد أسلمتْ مع باقي أفرادِ أسرتها بعد إسلامِ أبيها أبي بكرِ الصديق ـ أول من أسلمَ من الرجالِ ـ وكانت أسماءُ في هذا الوقتِ صَبِيَّةً في حوالي السابعة عشرة من عمرها وبعد سنواتٍ من إسلامها تزوجتْ الصحابيَّ الجليلَ الزبيرَ بنَ العوامِ ابنَ السيدةِ صفيةَ عمةِ

النبي الكريم ، وابن شقيقِ السيدةِ خديجةَ زوجِ النبيِّ عليه السلامُ ، وأحدُ السبعةِ الأوائل الذين دخلوا في دينِ الله قبل أن يبلغَ الخامسةَ عشرة من عمره .. وهو الذي قال عنه رسول الله: "إن لكل نبيٍّ حواريًّا ، وحواريَّ الزبيرُ بنُ العوامِ" .

وعاشتْ السيدةُ (أسماءُ) مع زوجها (الزبيرِ) في مكةَ شهورًا قليلةً حتى أذِنَ الرسولُ لأصحابه بالهجرة إلى المدينةِ في مجموعاتٍ صغيرةٍ .. وفي إحدى هذه المجموعاتِ غادرَ (الزبيرُ بنُ العوامِ) مكةَ إلى المدينةِ مهاجرًا في سبيلِ الله ، وترك زوجتَه (أسماءَ) في شهورِ حملِها الأخيرةِ . وأذِنَ الله للرسولِ بالهجرةِ ، فاتجه إلى بيتِ صديقه (أبي بكرٍ) الذي كان جاهزًا للرحيلِ ، ينتظر إذْنَ النبيِّ .. فأنبأه أن الساعةَ قد حانتْ ، وأنه يمكنهما الرحيلَ .

غادرَ (أبو بكر) بيته مهاجرًا مع النبيِّ ، وقد حملَ معه كلَّ ما كانَ له من مالٍ (خمسة آلافِ درهم) ، وترك وراءه زوجَته وابنتيه عائشةَ وأسماءَ ، وولدَه عبدَ اللهِ بنَ أبي بكرٍ .

اتجه النبيُّ ، وصاحبُه الكريمُ إلى (غارِ ثورٍ) حيثُ قَضَيَا ثلاثَ ليالٍ ، يزورهما كل مساءٍ (عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ) حاملا معه أخبارَ قريشٍ ، وبعضَ الطعامِ ، ويتبعه مولاهم (عامرُ بنُ فهيرةَ) الذي كان يرعى إبلَ أبي بكرٍ ، فيحلبُ الشياهَ ، ويسقي النبيَّ وصاحبَه لبنَها ، ثم يتبعُ عبدَ الله في طريقِ العودةِ ، فتخفى الأغنامُ آثارَ الأقدامِ البشريةِ ، إمعانًا في التمويهِ ..

وفي الليلةِ الثالثةِ قامتْ (أسماءُ) – رغم ثِقَلِ حَمْلِها فأعدتْ زادَ السفرِ للنبيِّ الكريمِ ، وصاحبِه .. فكيفَ تَضَعُ الماءَ والطعامَ على ظهرِ الراحلةِ؟..

احتارتْ (أسماءُ) قليلا ثم فَكَّتْ نطاقَها ، وشقته فربطتْ وسطها بنِصْفِهِ ، وعَلَّقَتْ طعامَ المهاجِرَيْنِ وشرابَهُما في النصفِ الآخرِ ..

ولما رأى الرسولُ ما صنعتْ (أسماءُ) ابتسمَ لذكائها ، وعطائِها ، وبَشَّرَها قائلاً :

"إن لك بنطاقِك هذا نِطَاقَيْن في الجنةِ" .

ومن يومها سُمِّيَتْ (أسماءُ) بذاتِ النِطاقَيْنِ [1].

ويأتي (أبو قحافةَ) والدُ (أبـي بكـرٍ) – وكـان لم يدخـلْ الإسلام بعدُ – ليزورَ أحفادَه بعد أنْ عَلِمَ بـهجرة ابنـه مـع الرسولِ إلى المدينةِ.. وسألهم عما تركه لهم أبوهم من مالٍ ..

وتسرعُ أسماءُ ، فتجمعُ بعضَ الحَصَى ، وتضعُه حيثُ كان أبوها يحفظُ مالَه ، وتغطيه ببعضِ الثيابِ ثم تأتي بجدِّهـا – وكان كَفِيْفًا – فتضعُ يـدَه فـوقَ الحَصَـى ، فَيَحْسَبُه الشـيخُ مالا ..

لقد عَزَّ على أسماءَ أن يَشَـمَتَ جدُّهـا فيـهم وهـو الـذي قال : (والله إني لأراكم قد فُجِعتم بماله مع نفسه ..) .

وكان ذكاءُ أسماءَ ، وسرعةُ بديهتها أقـوى مـن شماتـةِ هـذا الجَدِّ .. فأقنعته بأن والدَهم قد تركَ لهم خيرًا كثـيرًا .. وهـذا حقٌّ .. فقد ترك لهم رِضَا الله ورسوله ..

وأيَّد الله نبيه ، وصاحِبَه ، وأعانهما على سَفَرِهما وَوَصَلا سالمين إلى المدينة ..

---

(1) النطاق : حزام تربطه المرأة على وسطها تسند به ظهرها وترفع به أطراف ثوبها .

ولما استقرَّ بهما المقامُ أرسل أبو بكر إلى ولده أن يأتي ، ومعه أخته (أسماءُ) ، و(عائشةُ) وزوجةُ أبيه (أم رومان) وتتحمل أسماءُ مشقةَ الرحيلِ وقد أوشَكَتْ أن تتم أيامَ حملها .. يا لها من رحلةٍ شاقةٍ يعلمُ الله وحدَه كَمْ عانَتْ (أسماءُ) أثناءها .

وفي (قباء) على مشارفِ المدينةِ المنورةِ نزلتْ (أسماءُ) حيث جاءها المخاضُ .. ورزقها الله بصبيٍّ جميلٍ ، وكم كانت فرحةُ المسلمين في المدينةِ بهذا الوليدِ فأمُّه هي (أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ) ، وأبوه (الزبيرُ بنُ العوامِ) أحدُ السبعةِ الأوائلِ الذين سارعوا إلى الإسلام .

يا له من طفل كريم النَسَبِ ..

وكانت ولادةُ هذا الطفلِ بالمدينةِ رَدًّا حاسما على اليهودِ الذين أشاعوا أنهم سَحَرُوا نساءَ المسلمين ، ليُصَبْنَ بالعقمِ ، فلا يُوْلَدُ لَهُنَّ طفلٌ بالمدينة ..

وحمل المسلمون الطفلَ إلى الرسولِ ، فباركَه ، وسماه (عبدَ الله).. عبدَ الله بنَ الزبيرِ بنِ العوامِ .. وبعدَ عبدِ الله رزقتْ

أسماءُ بالبنين : عروةَ ، والمنذرِ ، وعاصمٍ ، والمهاجرِ .. وبالبنات : عائشةَ ، وأم الحسنِ ، وخديجةَ ..

كان الزبيرُ زوجُ أسماء فقيرًا لا يملكُ من متاعِ الدنيا إلا فرسَه .. فكان على أسماءَ أن تقومَ بكلِّ واجباتِ الزوجةِ والأمِّ .. ترعى أبناءها وزوجها ، وتعلفُ الفرسَ ، وتسقيه ، وتعجنُ العجينَ ..

تروى (أسماء) عن نفسها .. "لم أكن أحسنَ الخبزَ .. فكانت تخبزُ لي جاراتٌ من الأنصار " .

يا لها من إنسانةٍ بسيطةٍ صريحةٍ .. لم تخجلْ من الاعتراف بأنها لم تكن تتقن (الخبزَ) .. ويا لها من صورةٍ رائعةٍ من صورِ التكافلِ، والتعاونِ . فها هن نساءُ الأنصار من جاراتها يساعدنها على ما لم تكنْ تتقنه ..

ولما عَرِفَ الأبُ (أبو بكر) بما تعانيه ابنته أرسل لها خادمًا تساعدها ..

لكنَّ حال الزبير لم يستمرَّ طويلا على هذا ، فقد شَارَكَ في الفتوحاتِ ، والغزواتِ ، ونالَ نصيبَه من الغنائم ، وفَتَحَ

الله عليه.. وأظن (أسماء) استراحت بعد هذا .. فهي لم تخلقْ لهذا التعبِ.. لكنها تحملتَ مسئوليتها كزوجةٍ، وأمٍّ على أحسنِ وجهٍ.

ونقلب الأوراقَ، ونقرأ عن (أسماءَ) صفحاتٍ مشرقةً .. فقد كانتْ من أفقه صحابياتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .. أخذت عن أبيها حُسنَ الخُلِقِ، ورائعَ السلوكِ، وصحيحَ التقوى.. وهي نموذجٌ في الكرمِ، والجودِ، والذكاءِ، والشجاعةِ..

ومن خلال شقيقتها (عائشةَ) أم المؤمنين تعلمت (أسماءُ) الكثيرَ عن فقهِ دينها .. وكانت تنقل ما تخجلُ أن تنطقَ به أمامَ الرسول إلى (عائشةَ) التي تأتيها بالإجابةِ .. وأضحتْ (أسماءُ) موسوعةً في السنةِ النبويةِ خاصةً في أمورِ (النساءِ) .. وكانت راويةً للحديثِ، أخذ عنها كثيرٌ من الرواةِ، أهلِ الثقةِ.

وتمضي الأيامُ بالكريمةِ بنتِ الكريمِ (أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ) وتشهدُ وفاةَ النبيِّ، ثم وفاةَ أبي بكرٍ، ومِنْ بعده

عمرَ ، ثم عثمانَ ، وعليٌّ، وتنتقلُ لتعيشَ مع ابنها البكر (عبدِ الله بنِ الزبيرِ بنِ العوامِ) الذي اختاره المسلمون خليفةً لهم بعد وفاةِ يزيدَ بنِ معاويةِ .. وَنَقَلَ عبدُ الله مقرَّ الخلافةِ إلى مكةَ المكرمةِ بعد أن كانَ يزيدُ بنُ معاويةَ قد جَعَلَ هذه العاصمةَ في دمشقَ إبَّانَ خلافتِه ، وتَنْشَقُّ عصا المسلمين.. فها هو (مروانُ بنُ الحكمِ) يعلنُ نفسَه خليفةً على الشامِ .. ويَخْلفُهُ ابنُه (عبدُ الملكِ بنُ مروانَ) ويعلنون رفضَهم لخلافةِ (عبدِ الله بنِ الزبيرِ) .. وتتوالى الحروبُ .

وينقسم المسلمون .. ويتبع بعضُهم خليفةَ دمشقَ ويتبعُ الآخرون خليفةَ مكةَ ، وتدورُ المعاركُ ، وتتداخلُ المؤامراتُ لتكونَ ضدَّ الشجاعةِ .. وتتعددُ هزائمُ (عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ) حتى يأتيَ اليومُ الحاسمُ .

الثلاثاءُ .. السابعُ عَشَرَ مِنْ جُمَادَى الأولى سنة 73هـ

هذا اليومُ الذي شَهِدَ مَصْرَعَ عبدِ الله بنِ الزبيرِ بعد معركةٍ قصيرةٍ ضِدَّ (الحجاجِ بنِ يوسفَ الثقفي) الذي قَتَلَه ، وعَلَّقَ جثته في العراءِ ، ثم فَصَلَ رَأسَه ، وبَعَثَ بها

إلى مولاه (عبدِ الملكِ بنِ مروانَ) .

ويقف الحجاجُ (قَاتِلُ عبدِ الله) أمامَ أسماءَ (أمِّ عبدِ الله) محاولاً استرضاءها .. فماذا تقول هذه الأم العظيمة؟

قالت (أسماءُ) : "لقد أفسَدْتَ على ابني دُنياه وأفسَدَ هُوَ عليك آخرتَك .. ولا ضُرَّ أن أكرمَه الله على يديك (شهيدًا) فقد أُهْدِيَ رأسُ يحيي بنِ زكريا إلى بغِيٍّ من بَغَايا بني إسرائيل" .

يا لروعة التشبيه .. لقد أُهْدِيَ رأسُ ابنها (الوَرِعُ التقيُّ الصالحُ) إلى (عبدِ الملكِ بنِ مروانَ) كما أُهْدِيَ رأسُ النبيِّ (يحيى بن زكريا) إلى عاهرةٍ ضائعةٍ من بني إسرائيل هي (سالومي) .

هكذا احتقرت (أسماءُ) هذا الطاغيةَ (الحجاجَ بنَ يوسفَ الثقفي) الذي أسال الدماءَ على الأرضِ الحرامِ في (مكةَ) ومَنَعَ المسلمين أن يؤدوا فريضةَ الحجِّ في هذا العام.

وصَبَرَتْ الأمُّ العظيمةُ على ابنها - ذلك المصلوب في العَرَاءِ بغيرِ رأسٍ - لما يقرب مِن شهرٍ .. ثم أنزلته ، وكفنته

وصَلَّتْ عليه ، ثم دفنته .

يا لها من أم عظيمة رائعة ..

كانت (أسماء) في هذه الفترة قد ناهَزَتْ المئةَ من عُمْرِها ..

وما هي إلا أيامٌ .. ولحقت (أسماءُ) بابنها .. كريمانِ يلتقيان عند خالقهما ، يكفي أن نذكر (لعبدِ الله بنِ الزبيرِ) موقفَه يومَ معركةِ (إفريقية) .. عندما واجه جيشُ المسلمين – عشرون ألف مقاتل – جيش البربر – مائة ألف وعشرين ألف مقاتل ..

والناظرُ لطرفي الصراع يومها لابد أن يشفقَ لحالِ المسلمين لكن (عبدَ الله بن الزبيرِ) كان ضمن الجيشِ .. واستطاع بذكائه أن يدرك سرَّ قوةِ عدوِّه .. لقد وجَدَها في قائدِهم – ملكِ البربرِ – الذي كانت صيحاتُه تشعلُ الحماسَ في قواتِه فيستميتون في قتالهم ..

ورغم الموقع الحصين الذي كان يقفُ فيه ملكُ البربرِ .. إلا أن شجاعةَ ابنِ الزبيرِ جعلته ينسى الهولَ الذي أمامَه ويندفعُ كالسهمِ بعد أن قالَ لإخوانه من حوله :

(احموا ظهري واهجموا معي) ..

وكأنه قذيفةٌ انطلقتْ إلى هدفها .. شَقَّ الصفوفَ واتجه إلى رأسِ الملكِ فأطاحَ بها .. ثم الْتفتْ إلى الحراسِ الذين كانوا حوله فصرعهم جميعا وانطلقت صيحته : الله أكبر ..

هذا هو (عبد الله بن الزبير) مقاتلا في سبيل إعلاء شأنِ الإسلام أما (ابنُ الزبيرِ) المؤمنُ التقيُّ .. فهو كما قال عنه ابنُ عباس رضي الله عنه : (كان قارئًا لكتابِ الله ، متبعًا سنةَ رسولِه .. قانتًا لله .. صائمًا في الهواجرِ من مخافةِ الله .. ابن حواريّ رسولِ الله .. وأمه أسماءُ بنتُ الصديقِ وخالتُه (عائشةُ) زوجةُ رسولِ الله .. فلا يجهلُ حقَّه إلا مَنْ أعماه الله) .

عليك رضوانُ الله يا عبدَ الله وعلى أمك أسماءَ ، فقد كتبتما في كتابِ التضحية والصمود والشجاعةِ ، والتقى .. صفحاتٍ لن يطويها التاريخُ أبدًا !!



6

قصص الصحابة

الصحابي الشجاع

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

الصحابي الشجاع

(عبد الله بن رواحة)

لكنني أسألُ الرحمنَ مغفـــرةً ضربةً ذات فرع تقذفُ الزبدا

عبد الله بن رواحة

هذا يومٌ وقفَ التاريخُ عِنْدَه متأملا .. فقد كان بدايةَ تحوُّلِ مؤشِّرِ (المواقع) ليقفَ عند موقـــعٍ جديـدٍ غـيرَ الـذي طالمـا وقفَ عنده في شبهِ الجزيرةِ العربيةِ .. وكان هذا في عام 621 ميلادية .. في هذا اليوم جاء اثنا عشر رجلا من أهـل يـثربَ للقاءِ النبيِّ عليه السلامُ .. وكان اللقاءُ على مَشَارِفِ مكةَ في مكانٍ يُسمى (العقبة) .

يومـها جَلـسَ النـبيُّ مـع هـؤلاءِ يُجيـبُ علـى أسـئلتهم ويبصِّرُهُم بحقيقةِ الدينِ الذي جاء به .. استمعوا إليـه وقـد تفتحت قلوبُهم لدعوته فملأها النورُ .. فبايعوه ..

على أي شيءٍ بايعوه .. بايعوه على ألا يُشرك أحدُهم بالله شيئا .. ولا يَسْرِق ولا يزني ولا يقتلُ أولادَه ولا يأتي ببهتانٍ يفتريه من بين يديه ولا رِجْليه ولا يعصي الله في معروفٍ .

كان من بين هذا الوفد القـادم مـن يـثربَ شـابٌّ وسـيمٌ

تبدو عليه ملامح الزَّعامة .. أطال النظرَ إلى وجه النبيِّ وكأنَّه يتمنى أن يحتفظ بقسماته في ذاكرته وقلبه .. ابتسم ابتسامة المؤمن المصدِّق الموافق على ما سمع ثم توجَّه بالسؤال إلى الرسولِ فقال :

ـ يا رسولَ الله اشترطْ لربِّك ولنفسك ما شئت .

فقال عليه السلامُ : "أشترطُ لربي أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم" .

قال (عبدُ الله بن رواحة) : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟

قال عليه السلامُ : الجنة ..

هنا تهللتْ وجوهُ الوفدِ كله وصاحوا معا : "رَبِحَ البيعُ .. لا نُقيل ولا نَستقيل .." بعدها نزلَ قولُ الله تعالى :

{إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة : 111] .

هكذا كانت البدايةُ .. بدايةُ الرحلة النورانية التي سار

(عبدُ الله ابن رواحة) على خطواتها في ثقة الفارس وصِدْق الشاعر وثباتِ المؤمن ..

كانت بيعةُ العقبة الأولى هذه تضم اثنى عشر رجلا .. أما العقبةُ الثانية – في العام التالي – فقد ضمت خمسة وسبعين مُسلما منهم امرأتان ..

وهكذا كان بدءُ التفكير في هجرةِ النبيِّ عليه السلامُ إلى يثربَ وبدأ الإعداد لهذه الهجرةِ التي حولت مؤشرَ (المواقعِ) من مكةَ إلى المدينة كما قلنا في بداية حديثنا ..

وتجمع المسلمون عند مداخلِ المدينةِ يستقبلون نبيَّهم ورسولَهم بالفرحةِ والسعادةِ .. مع أمنية عزيزةٍ كانت ترقدُ في صَدْرِ كلٍّ منهم هي أن يحظى بدخولِ النبيِّ بيتَه فيكون ضيفَه ..

وتقدمَ عبدُ الله بن رواحة وأمسك بِزِمَامِ (القَصْواء) ناقةِ النبيِّ وقال له : إلينا يا رسولَ الله حيث العزُّ والمنعةُ . إلا أن الرسولَ شكره وقال له كما قال لكل من تقدم إليه طالبا هذا الشرف .. قال : (اتركوها فإنها مأمورة) .

وسَعِدَ (ابنُ رواحة) برفقةِ النبيِّ عليه السلامُ .. يلازمه ويسمع منه .. يصلي خلفه ويحفظ ما ينزلُ عليه من القرآن..

كان (عبدُ الله بن رواحة) شاعرًا مشهودًا له بين العربِ .. وما إن دخلَ الإسلامُ قلبَه حتى وظَّف موهبَتَه هذه لخدمةِ دينه والدفاعِ عن نبيه .. ومن جميل شعره ..

إني تَفَرَّسْتُ فيك الخيرَ أعرفه فراسةً خَالَفْتهم في الذي نظروا

ولو سألت أو استنصرت بعضَهم والله يَعْلَمُ أنْ ما خانني البصَرُ

أنتَ النبيُّ ومن يُحْرَم شَفاعَتَه يوم الحِسَابِ فقد أزرَى به القَدَرُ

فلما سَمِع منه رسولُ الله هذا القولَ .. أقبلَ بوجهه مبتسمًا على ابن رواحة وقال : (وإياك فثبَّتَ الله) .

وتوالت قصائدُ (عبد الله بن رواحة) خاصةً بعد هذه الدعوةِ العظيمةِ التي دَعَا النبيُّ له بها إلى أن نَزَل قولُ الله تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} فامتنع عن قولِ الشعرِ وقال: (وقد علم الله أني منهم) . واستمرت مقاطعة ابن رواحةَ للشعرِ حتى بعد أن نزل قوله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ}

[الشعراء : 227]

خرج (عبد الله بن رواحة) يوما مع النبيِّ ـ عليه السلامُ ـ

وأصحابِه في سَفَرٍ طويل .. وبينما هم في الطريق قال له النبي : "انزل فحَرِّكْ بنا الركب" أي قُلْ شعرا ينبه الناسَ ويطرد عنهم كسلهم فيستحثون بدورهم الدواب لتسرع في سيرها .

فأجابه (ابن رواحة) : يا رسول الله .. إني قد تركت قولي هذا.. أي تركت قول الشعر .. فغضب (عمرُ بن الخطاب) وصاح فيه : اسمع وأطع .

وفاضت قريحة (ابن رواحة) طاعةً لرسول الله ..

يا ربُّ لولا أنتَ ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينةً علينـــا وثَبِّتَ الأقدام إن لاقينا

إن الكفارَ قد بَغَوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

فلما استمع النبيُّ لإنشاده دعا له قائلا : "اللهم ارحمه" .. وهكذا وَجَبتْ الرحمةُ المطلقةُ .. أو قل (الجنة) لهذا الفارس الشاعر النبيل ..

تروى الكتبُ التي تؤرخ لصدر الإسلام هذه الرواية عن (ابن رواحة) ، فقد صاحب (عبد الله بن رواحة) النبيَّ في عمرةِ القضاءِ وكان يُمْسِكُ بِزِمام (القصواءِ) ناقةِ النبيِّ الذي كان يسيرُ خلفه المسلمون مهللين مكبرين فرحين

بزيارةِ بيتِ الله الحرام .. وانفعل ابن رواحة بالموقف وفاضت شاعريته فانطلق يقول :

خَلُّوا بني الكفار عن سبيله خلوا فكلُّ الخير مع رسوله
نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزل الهام عن مَقِيله ويُذهل الخليلَ عن خليله

وأثارت هذه الأبيات مشاعرَ بعض المسلمين وتحركت في داخلهم نوازع الحربِ .. لكن هذا يخالفُ بنودَ (صلح الحديبية).. وتنبه (عمرُ بن الخطاب) فنبَّه (ابن رواحة) إلى هذا .. وسمع النبيُّ ما يدورُ من حوله فاتجه بالحديث إلى (ابن رواحة) قائلا: "إيه يابن رواحة .. قل : لا إله إلا الله وحده ، صَدَقَ وعدَه، ونَصرَ عَبْدَه ، وأعزَّ جُنْدَه ، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَه".

وانطلقت حنجرةُ (ابن رواحة) رافعة ما قاله الرسولُ .. فتبعه باقي المسلمين .. وأصبح هذا النداءُ هو نداءُ المسلمين يرددونه قبل صلاةِ العيدين تأسيًا بإمامهم ونبيهم ورسولهم عليه الصلاة والسلام .

وكما كان (عبد الله بن رواحة) شاعرًا تتناقل الصحاري والوديانُ أبيات شعره .. فقد كان فارسا مقاتلاً تَشْهَدُ له

ساحاتُ القتال بالقوةِ والشجاعةِ والذكاءِ العسكريِّ .. وكان من القلائلِ في مجتمعه الذين أمسكوا القَلَمَ ليكتبوا فوق الصفحاتِ .. لكن التاريخ سَجَّل مفاخرَ ما قدمت يمناه من الدفاع عن الإسلام ونبيه في مواقع بدرٍ وأُحُدٍ والخندق ومؤتة.. وكان فوق هذا وذاك رجلا حكيما ذكيَّ الحوار قوي الحجة ..

خرج رسولُ الله يوما لزيارة أحد صحابته ـ وكان مريضا ـ ومعه (أسامةُ بن زيد) و(عبد الله بن رواحة) وعدد آخر من الصحابة .. وفي طريقهم شاهدوا (عبد الله بن أُبي) ـ زعيم المنافقين ـ يجلس مع بعض رفاقه .. ولأن النبيَّ كان نموذجا للذوق الرفيع والخُلق الحسن فقد نزل عن راحلته وراح يُسلم على هؤلاء الذين يفترض أنهم مسلمون وكعادته رَتَّل النبيُّ بعضَ القرآنِ ودعا إلى الله أملا في حُسن الثواب ، وما إن انتهى الرسول من حديثه حتى قال له (ابن أُبي) :

ـ يا هذا .. إنه لأحسن من حديثك هذا – إن كان حقا – أن تجلس في بيتك فمن جاءك فحدِّثه إياه .. ومن لم يأتك فلا تعذبه به ولا تأته في مجلسه بما يكره .

وثار رفاقُ النبيِّ وصحابتُه لهذه الصفاقة التي تحدث بها (ابن أُبي) وشهروا أسلحتهم يتقدمهم (عبدُ الله بن رواحة) الذي صاح قائلا:

ـ يا رسولَ الله .. إن الذي قلتَ لهو الحقُّ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ، وإنه والله لأحب شيءٍ إلى نفوسنا وقلوبنا، فاغشنا به، وائتنا به في مجالسنا ودروبنا وبيوتنا فهو – والله – ما نحبُّ وبما أكرمنا الله به وهدانا بك.

فمضى (عبد الله بن أُبي) صامتا خائفا .. وما نظنه خجلا .. فالمنافقون لا يعرفون الخجلَ ..

ولتكن لنا هنا وقفةٌ عند محطةٍ هامةٍ في حياةِ الصحابي الجليل (عبد الله بن رواحة) .. وهي غزوة مؤتة .. هذه الغزوة التي شهدتْ استشهادَه ..

بدأ التفكيرُ في هذه الغزوةِ مع بدايةِ العامِ الثامنِ للهجرةِ (629) ميلادية .. بعد أن أيقن الرسولُ وصَحْبُه بضرورةِ تأمينِ الحدودِ الشماليةِ للجزيرةِ العربيةِ بعد أن تم تأمين الجنوبِ بولاء حاكم اليمنِ وإبرامِ المعاهدةِ مع قريشٍ .. وبعد أن ضَمِنَ انتشارَ الإسلامِ في أغلبِ أرجاءِ

الجزيرةِ .. أصبح لِزَاما فتحُ بابٍ لهذا الانتشارِ خارجِ الجزيرةِ .. وكانت الشامُ هي نقطةُ البدايةِ الاستراتيجيةِ لهذا.

دعا الرسولُ عليه السلامُ إليه ثلاثةَ آلافِ مقاتلٍ من المسلمين بقيادة (زَيْد بن حارثة) وقال لهم :

ـ إن أُصيبَ (زَيْدُ) (فجعفرُ بن أبي طالبٍ) على الناسِ .. وإن أُصيب (جعفر) (فعبد الله بن رواحة) على الناس .. واتجه ابن رواحة لرسول الله يودِّعه ويتزوَّد منه بالنصائحِ قال:

ـ يا رسولَ الله مُرْني بشيءٍ أحفظه عنك .

قال عليه الصلاةُ والسلامُ : إنك قادمٌ غدا بلدًا السجودُ فيه قليلٌ.. فَأَكْثِرْ السجودَ .

قال عبد الله : زدني يا رسول الله .

قال : اذكر الله فإنه عَوْنٌ لك على ما تطلب .

فقام ابنُ رواحة إلى سبيله .. إلا أنه ما لَبِثَ أن عادَ إلى رسولِ الله ليقول له: يا رسولَ الله .. إن الله وتر(*) يحب الوتر.

وكأني (بعبدِ الله بن رواحة) يريد أن يَسْتَزيدَ من حديث

(*) الوتر : هو الرقم الفردي لا الزوجي .

رسول الله لأن قلبه يخبره بأنها ربما كانت المرةَ الأخيرة التي يلتقيان فيها ..

أجابه رسول الله : "يا بن رواحة ما عجزت فلا تعجزن إن أسأت عشرا .. أن تحسن واحدة" .

تملى (عبد الله) وجه النبي طويلا .. وقال وعلى وجهه طيف ابتسامة :

- لا أسألك عن شيءٍ بعدها . ثم راح ينشد ..

ثبت الله ما أتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

إن تفرست فيك الخيرَ أعرفه فراسةً خالفتهم في الذي نظروا

أنت الرسولُ فمن يُحْرَم نوافله والوجهُ منه فقد أزرى به القدرُ

ومضى (عبد الله بن رواحة) .. لينضمَ إلى ركبِ المجاهدين المتجهين إلى حدودِ الشَّام وكان من بين فرسان هذه الحملة خالدُ بن الوليد .. الذي كانَ حديثَ عهدٍ بالإسلامِ فأراد أن يُثْبت ولاءه بانضمامه إلى هذا الجيش .

وقفَ المسلمون يودّعون فرسانهم المجاهدين ويدعون لهم : (صاحبكم اللهُ ودَفَعَ عنكم وردكم إلينا سالمين) ..

أما النبيُّ - عليه السلامُ - فقد سار مع جنوده حتى حدودِ

المدينةِ المنورةِ ووقف يَعِظَهم ويقول : (لا تقتلوا النساءَ ولا الأطفالَ ولا المكفوفين ولا الصبيان ولا تهدموا المنازلَ ولا تقطعوا الأشجارَ) .

ومضت الحملةُ في سَيْرِها وقد ظن قادتها أنهم سيباغتون الرومَ في الشام فيحصلون على نصرٍ سريع وغنيمة .

لكنهم ما إن اقتربوا حتى تبين لهم أن (شُرَحْبيل) عاملَ (هِرَقل) على الشام قد عَلِم بقدومهم .. فجمعَ حوله القبائلَ .. كما طلبَ المددَ من (هرقل) .. فأرسلَ إليه جيشًا من الرومِ والعربِ .

واقتربَ جيشُ المسلمين من أرض الشامِ .. وأرسلوا عيونَهم تراقبُ الموقفَ .. وعَلِموا أنَّ جيشًا قوامُه مائة ألفٍ أو يزيدُ قد اجتمع للقائهم . واجتمع قادةُ المسلمين ينظرونَ ماذا هم فاعلون .. اقترح البعضُ أن يرسلوا للنبيِّ بعددِ عدوِّهم .. فهو إما يرسل لهم المددَ اللازمَ .. أو يدعوهم للعودةِ .. أو يأمرهم بالقتال .

هنا قام (عبدُ الله بن رواحة) وقد اجتمعت في داخله كلُّ معاني الإيمانِ والصدقِ والفروسيةِ وحبِّ الشهادةِ .. فقال لهم :

يا قومُ: والله إنَّ التي تكرهونَ للَّتي خرجتُم تطلبون – يقصد الشهادة – وما نقاتل الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كَثْرة، وإنما نقاتلهم إلا بهذا الدِّين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهورٌ وإما شهادة ..

وسَرَى تيارُ الإيمانِ والبسالةِ في جموعِ المسلمين .. وصاحوا في صوت واحد .. فوالله صدق (ابن رواحة) ..

وعند قرية (مؤتة) التقى الجيشان .. جيشُ الروم بعدده وعدته.. وجيشُ المسلمين بإيمانه واستماتته ..

وكان قتالا شرسًا بين قوتين غير متكافئتين في العددِ .. قاتلَ (زيدُ بنُ حارثة) (حِبُّ رسول الله) وحامل راية الإسلام قتالا مستميتا .. حتى استُشهدَ ..

وتسلم منه الراية (جعفرُ بنُ أبي طالب) (ابن عمِّ الرسولِ) فقاتل بشراسةٍ حتى استشهد .

وأسرع (عبدُ الله بن رواحة) فحَمَلَ الرايةَ ثم مضى يصرعُ أعداءه وكأنه جيشٌ بأكمله .. لكن .. هل تغلبُ الشجاعةُ الكثرةَ .. كثرة العددِ وكثرةِ السلاح والعدة؟؟

ولَحِق (ابن رواحة) بزميليه .. لحق الأنصاريُّ الهُمام بالمهاجرين البواسل .. ليلتقي ثلاثتهم في جنة الخلدِ

محمولين على سُرُرٍ من ذهب..

هكذا هو .. (عبد الله بن رواحة) مجاهدٌ في سبيل الله . مُحِبًّا لدينه ولرسوله منذ اللحظة التي بايع فيها على نصرةِ الإسلام في العقبةِ الأولى .. فأعطى هذه العقيدةِ التي آمن بها كل ما يملك وها هو يعطيها أغلى وآخر ما يملك؟ .. روحَه الطاهرة ..

سلام عليك يا بن رواحة مع الشهداء والصديقين والأبرار.. لكن كيف انتهت هذه الموقعة – موقعة مؤتة – بعد موت أمرائها الثلاثةِ واحدًا بعد الآخر ؟

بعد موتِ (ابن رواحة) ثالثِ هؤلاءِ الأمراءِ قرَّر المجاهدون المسلمون اختيارَ (خالد بن الوليد) قائدا وأميرا عليهم .. وكان خالدٌ كما هو معروف عنه واحدا من أصحاب العبقرية العسكرية الفذة .

نظر خالدُ بن الوليد في الأمر .. ووجدَ أن عددًا كبيرًا من مقاتلي المسلمين قد استشهدوا .. صحيحٌ أنهم أبلوا بلاءً حسنا وكبَّدوا العدو خسائرَ كبيرةً .. لكن قوةَ هذا العدوِّ مازالت قادرةً على الصمود ..

ولم يجدْ خالد أمامه إلا الحيلة .. فقد أمر قوةَ جيشه أن

تتوزع في الخلف في خط عرضي على أن تتحرك الخيولُ والإبلُ لتصنع عاصفة رملية عالية .. تحدث جَلَبة ..

ولما رأت جنودُ الرُّوم هذا ظنوا أن مَدَدًا جديدا قد وَصَل إلى المسلمين .. وخافوا من العودة إلى مواجهتهم فولوا هاربين ..

وكانت فرصةً لجيشِ المسلمين كي يعود بعد هذا البلاءِ الحسن.. صحيح أن هذه الغزوة لم تحقق نصرا للمسلمين .. لكنها في ذات الوقت لم تحقق نصرًا لأعدائهم ..

وكانت (مؤتة) هي البداية .. وكان بعدها النصرُ في (ذاتِ السلاسل) ثم (تبوك) التي فتحت للإسلام شمال الدُّنيا وغربها وشرقها..!



قصص الصحابة

أعمى يحمل الراية

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

أعمى يحمل الراية

(عبد الله بن أم مكتوم)

[إذا ما أخذت كريمةَ عبدي لم أجدْ له بها جزاءً إلا الجنة]

حديث قدسي

هذا صحابيٌّ نزلَ الوحيُ في أمـرِه مرتَيْـنِ .. رغـم أنـه لم يكنْ مِنَ الزُّعماءِ ولا القادةِ .. ولم يكنْ من كِبَـارِ قومِـه ولا مِنَ الأغنياءِ بل كانَ رجلاً كفيفًا .. فقيرًا ..

لم يسمعْ أحدٌ (بعبدِ اللهِ بن أمِّ مكتومٍ) قبلَ إسلامه .. فقد كان إنسانًا بسيطًا حتى إنَّ الناسَ اختلفوا على اسمه .. هـل هو (عبدُ الله) أم (عمرو) .. لكـنَّ اسـمَ (عبـد الله) غلـبَ عليه واشتهرَ به ..

هو ابنُ أبوَيْنِ بسيطَيْنِ .. لا يَعْرِفُ أحدٌ اسمَ أبيه .. وهو ليس بشاعرٍ ولا حكيمٍ ولا فارسٍ .. رجلٌ كَفِيْفٌ رقيقُ الحالِ تعرفه دروبُ مكةَ جوَّالا كثيرَ السؤالِ ، فقـد كـان يريـدُ أن يعرف كلَّ شيءٍ حولـه .. وتحفـظ ذاكرتُـه الصـورَ اللفظيـةَ

للأشياءِ لا ينساها أبدًا .. وهو فوق ذلك دؤوبا في طلبِ الرزقِ .. وهو رزقٌ محدودٌ بغير شك .. فالرزقُ الواسعُ في هذه المجتمعاتِ كانَ مِنْ نصيبِ الفرسانِ والشعراءِ والتجارِ وأبناءِ الكبراءِ والزعماءِ . قَنَعَ (عبدُ الله) بما أعطاه الله من رزقٍ .. ولم يقنعْ بما وهبه من العلمِ . وهذه فضيلةٌ عند أي إنسانٍ وليست رذيلةً .

وسط اهتمامِه بمعرفةِ الأخبارِ وحرصِه على معرفةِ كلِّ جديدٍ يَدِبُّ على الأرض ، وصلت إلى سَمْعِ (عبدِ الله بنِ أمِّ مكتومٍ) أنباءٌ تقول أن هناك رجلاً (أمينًا) اسمه (محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ) يجمع حوله الناسَ ويتلو عليهم كلامًا لم يسمعْ به أحدٌ من قَبْل .. وسَمِعَ كذلك أنَّ (محمدًا) يقولُ أن هذا وحي يتلقاه من السماءِ وأنه مُكَلَّفٌ بتبليغه إلى الناسِ ..

وسأل (عبدُ الله) أين يمكنه أن يجدَ (محمدًا) هذا ليعرفَ منه المزيدَ عَنْ هذا الوحي .. وعرف أنه يمكن أن يلقاه في (دارِ الأرقمِ بنِ أبي الأرقمِ) ..

واندفع الرجلُ إلى (دارِ الأرقم) .. تحمله أشواقُه قبل قدميه .. وتقوده بَصِيْرَتُه قبل بَصَرِه .. وهناك التقى (بمحمدٍ) .. سمع منه .. وحفظت ذاكرته .. ثم آمن بما سمع مُعْلِنًا إسلامَه بين يديَّ الرسولِ صلى الله عليه وسلم .

ومنذ اللحظة التي صافحت كَفُّه كَفَّ النبيِّ أصبحَ جُنْدِيًّا في كتيبةِ المؤمنين المجاهدين والداعين إلى هذا الدينِ العظيمِ الذي لا يفرق بين أبيضَ وأسودَ ولا عربيٍّ وعجميٍّ .. وَجَلَسَ (ابن أمِّ مكتومٍ) الفقيرُ الضعيفُ الكفيفُ إلى جوارِ (أبي بكرِ بنِ أبي قُحَافةَ) وإلى جوار (مُصْعَبِ بنُ عُمَيْرٍ) وغيرهما ممن كانوا من زعماءِ العربِ ووجهائهم .. جلسَ مع (عَمَّارِ بنِ ياسر) و(بلالِ بنِ رباحٍ) .. جمعت مائدةُ الإسلامِ بين هؤلاءِ الذين كانوا أَرِقَّاءَ وبين من كانوا أسْيَادًا .. وأصبحَ الجميعُ أحرارًا إلا من عبوديتهم لربهم الواحدِ الأحدِ ..

ولازمَ (عبدُ الله بنُ أُمِّ مكتوم) الرسولَ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ . لازمه لا يتركُه ولا يغادرُ مجلسَه .. يحفظ عنه كلَّ

كلمةٍ يقولها ويسأله عن كل ما غَمُضَ عليه أو اسْتَصْعَبَهُ .. إلى أن جاء يومٌ جلسَ فيه النبيُّ إلى وَفْدٍ من زعماءِ قريشٍ يحاورهم فيما أُوْحِيَ إليه به .. وكان هؤلاءِ (عتبةَ بنَ ربيعةَ) و(شيبةَ بنَ ربيعةَ) و(عمرو بن هشام) و(أميةَ بن خَلَفٍ) و(الوليدَ بنَ المغيرةِ) و(العباسَ بنَ عبدِ المطلبِ) .

وانشغل النبيُّ في حوارِه مع هؤلاءِ باذلاً كل جُهْدِه في إقناعهم بدعوته ودينِه الحقِّ .. موقنًا أن إيمانَ هؤلاءِ فيه خيرٌ كثيرٌ للإسلامِ.. فهم سادةُ قريشٍ وسيكونُ في إسلامهم نصرٌ كبيرٌ للإسلامِ والمسلمين ..

وبينما هو مشغولٌ بهذا الأمرِ .. جاءه (عبدُ الله بنُ أمِّ مكتومٍ) يقطعُ عليه الحديثَ ليسأله عن أمرٍ عَرَضَ له .. ويشيحُ النبيُّ عن (عبدِ الله) ويُعْرِضُ عنه ويَظهرُ على ملامحه العبوسُ .. فهو مشغولٌ بأمرٍ مُهِمٍّ .. ويمكن (لعبدِ الله) أن يؤجِّلَ سؤالَه ..

ويمضي (عبدُ الله) حزينًا مهمومًا لإعْرَاضِ النبيِّ عنه ..

لكن وحي السماءِ ينزلُ لترضية الكفيفِ الفقيرِ (عبدِ الله بن أمِّ مكتوم) ..

{عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى * وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس : 1 - 10] .

جاء وحي السماء يؤكد أن (عبدَ الله) جاء الرسولَ راغبًا في التَزَكّي ، طامعًا في التذكرِ ، ساعيًا إلى العلمِ ..

ويتجه النبيُّ إلى (عبدِ الله بنِ أمِّ مكتومٍ) مُرَحِّبًا به يسترضيه سائلا عما له من حاجة .. ومن يومها كان النبيُّ يرحبُ بمقدمِ (ابن مكتوم) قائلا :

"مَرْحَبًا بمن عاتبني فيه ربي" ..

ثم يسأله عن حاجته .. ويحرصُ على وجودِه في مجلسِه ..

أتى جبريلُ - عليه السلامُ - يومًا بالوحي إلى النبيِّ - عليه السلامُ - وكان معه (عبدُ الله بنُ أمِّ مكتومٍ) .. فسأله جبريلُ

عليه السلامُ: متى ذَهَبَ بصرُك؟؟

فأجابه (عبد الله) :

وأنا غلام ..

فرد عليه جبريل بقول الله تعالى :

[إذا ما أخذت كريمة عبدي لم أجِدْ بها جزاءً إلا الجنةَ]

(حديث قدسي)

والكريمة هى العين ـ أى بصره .

بشراك يا عبدَ الله .. فقد بَشَّرك جبريلُ بالجنـةِ في أخْـرَاكَ أما في دُنياك فقد حَظِيْتَ برفقةِ سيدِ الخلقِ وحُبِّه لك وإيثاره لك .. فقد اختارك لترفعَ آذانَ الصلاةِ إذا ما غابَ (بلالُ بنُ رباحٍ) عن المدينة.. وفي ليالي رمضانَ .. كـان (بـلالٌ) يرفـع الأذانَ ليوقظ المسلمين للسحورِ .. فإذا ما ناديت (يا بـن أمِّ مكتوم) أمسك الناسُ عن الطعامِ ..

"إن بلالا ينادي بليلٍ فَكُلُوا واشربوا حتى ينادي ابـنُ أمِّ

مكتوم" حديث صحيح رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ويملأ حُبُّ رسولِ الله قلبَ (عبدِ الله بنِ أمِّ مكتوم) حتى يضطره يومًا لقتلِ سيدةٍ يهوديةٍ كانت تعطف عليه .. فما هي حكاية هذه اليهودية ؟

كانت هذه السيدةُ تُشْفِقُ على (عبد الله) وتَتَرَفَّقُ بضعفه وتقدم له الطعامَ إذا ما وَفِدَ عليها ..

وذهب (عبدُ الله) إليها يومًا كعادته لكنها أسمعته ما يكره في حَقِّ رسولِ الله .. وحاول الرجلُ أن يقنعها بالتوقفِ عما تقول .. لكنها لم ترتدعْ .. ولم يشعرْ (عبدُ الله) بنفسِه إلا وقدْ قام فضربها حتى ماتت ..

فأي قوةٍ تملكت هذا الرجل حتى يقتلَ المرأةَ التي أساءت بألفاظِها إلى النبيِّ الكريمِ .. لا بُدَّ أنها كانت طاقةً فائقةً من الحُبِّ والولاءِ ..

وأسرع (عبدُ الله بنُ أمِّ مكتوم) إلى النبيِّ يقصُّ عليه ما

حدث وهو خائفٌ مرتعدٌ مما حدث .. فقد قتل المرأة ..

فماذا قال له النبيُّ عليه السلام ؟

قال النبيُّ : "أبعدها الله تعالى .. فقد أَبْطَلَتْ دَمَها " ..

لقد بدأت بالإساءةِ إلى رسولِ الله .. فأصبح دَمَهَا مُهْدَرًا .

لم يقفْ العجزُ يومًا بين (عبد الله بن أمِّ مكتوم) وبين أداءِ دورِه في خدمةِ الإسلامِ والمسلمين .. فكان النبيُّ يستخلفه على المدينة المنورة إذا ما خرج في غزوةٍ في سبيلِ الله .. وقد استخلفه ثلاثَ عَشْرَةَ مرة .. وفي هذا تشريفٌ أيُّ تشريفٍ ، فماذا كان (عبد الله) يصنع في أثناء غياب النبي؟!

كان يجلسُ في المسجدِ يعظُ الناسَ ويعلِّمهم أمورَ دينهم ، وكان يقوم على تحفيظِ الصبيةِ القرآنَ .. ويؤمُّ الناسَ في الصلاةِ .. فإذا ما كان يومَ الجمعةِ وقفَ إلى يسارِ مَنْبَرِ رسولِ الله يخطبُ في المسلمين ..

وأصبح اسم (عبد الله بن أم مكتوم) بين المسلمين مثالا على التقوى والسعي الدائم إلى العملِ الصالحِ والتفاني

في مرضاةِ الله ورسولِه والإخلاصِ في مساعدةِ إخوانِه من المسلمين .

فلما نزل وحي السماءِ بالآية (59) من سورة النساء ملأ الحزنُ قلبَ عبد الله واتجه بوجهه إلى السماءِ يخاطبُ الله بنفسٍ صافيةٍ ويقول: يارب .. ابتليتني .. فكيف أصنعُ يا ربِّ .. وسعت رحمتُك كلَّ شيءٍ .. واتجه بالحديث إلى الرسولِ وقال : يا رسولَ ا لله .. قد أنزلَ اللهُ في الجهادِ ما قد علمت وأنا رجلٌ ضريرُ البصرِ لا أستطيع الجهادَ فهل لي من رُخْصَةٍ عند الله إن قَعَدْتُ؟ فقال له الرسولُ عليه السلامُ : "ما أُمِرْتُ في شأنك بشيءٍ وما أدري هل يكون لك ولأصحابك من رخصةٍ؟" .

فقال (ابن أمِّ مكتوم) : اللهمَّ إني أنشدك بَصَري .. فنزل قوله تعالى :

{لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ

الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا}

[النساء : 95]

وكان الوحي قد نزل في البداية بهذه الآية دون عبارة {غير أولي الضرر} .. ثم نزل الوحي بها تكريما لهذا المسلم التقي الكريم القوام العابد المخلص ..

نزل الوحي بهذه الإضافة اعترافا بفضلِ هذا الرجلِ (الكفيفِ) واعترافا بمكانته وإنْ كانَ عاجزًا عن الجهاد في سبيلِ الله بسيفه.. وهذه لم تكن الحالة الوحيدة .. فقد كان مِنَ المسلمين الأوائل من أَقْعَدَهُ العجزُ الجسدي عن الاشتراكِ في الحروبِ والغزواتِ .. لكن هذا لم يكنْ يعني أنَّهم (أقل درجة) .. فقوة الجسدِ لم ولن تكون أبدا هي معيارُ الإيمان الصادقِ ولا الإسلامِ الصحيحِ .. بل {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ} .. وكان (عبد الله بن أم مكتوم) مسلما تقيًّا .

لقد هاجر (عبدُ الله بنُ أمِّ مكتـوم) مـع مَـنْ هـاجرَ مـن المسلمين الفارِّيْنَ بدينهم من عذابِ أهلِ مكةَ .. هـاجرَ إلى يثربَ متوكِئًا على عصاه حاملا في قلبه الحُبَّ - كـل الحُـبِّ لله ولرسولِه - .. لكنه كان يشعر برغبةٍ شديدةٍ في نفسِه في أن يُشَارِكَ المسلمين في القتال ..

كيـف يحـدث هـذا .. هـل لأعمـى أن يقتحـم صفـوفَ المقاتلين ليبارزَ ويحارب؟!

لعلها كانت فكرةً قديمةً في قلبِ (ابنِ أمِّ مكتوم) منـذ أن هاجرَ بدينه إلى (يثربَ) .. لكنها كانت بلا شكٍّ مسـتحيلةَ التنفيذِ ..

وينتقل النبيُّ الكريمُ - عليه الصلاةُ والسلامُ - إلى جوارِ ربه .. تاركا وراءه جنودًا حَمَلُوا رايةَ الإسـلامِ وأقسـموا أن يرفعوها فوقَ كلِّ بـلادِ الدنيـا نَشْرًا لديـن الله .. ويعيـشُ (عبدُ الله بنُ أم مكتوم) وَسَطَ هؤلاءِ الجنودِ .. يسمعُ منـهم كيفَ انتشر دينُ الإسـلامِ .. وكيـف آمـنَ بـه أهـلُ الشـامِ

والعراقِ ومصرَ .. ويسمعُ أن (سعدَ بنَ أبي وَقَّاصٍ) يجهِّزُ جيشًا بأوامر من الفاروقِ عمرَ بنِ الخطابِ ليفتح بلادَ الفرس ..

ويطلب (ابنُ أمِّ مكتوم) أن يسمحوا له بمرافقة الجيشِ المتجه إلى القادسية .. ولا بد أنهم ظنوا أن به رغبةً في التواجدِ وسط الجيوشِ يؤمها للصلاةِ أو يفصل في بعض ما يقابلها من أمورٍ فقهيةٍ أو شرعيةٍ .. لابد أنهم كانوا يفكرون على هذا النحو ..

فماذا حدث في القادسيةَ ؟

طلب (عبدُ الله بن أم مكتوم) من رفاقه المسلمين أن يعطوه (اللواء) يحمله ويرفعه ويتقدم الصفوفَ .. وتلفتَ الجميعُ في دهشةٍ.. كيف يحملُ اللواءَ أعمى .. ولماذا .. وارتفع صوتُ (ابن أمِّ مكتومٍ) ..

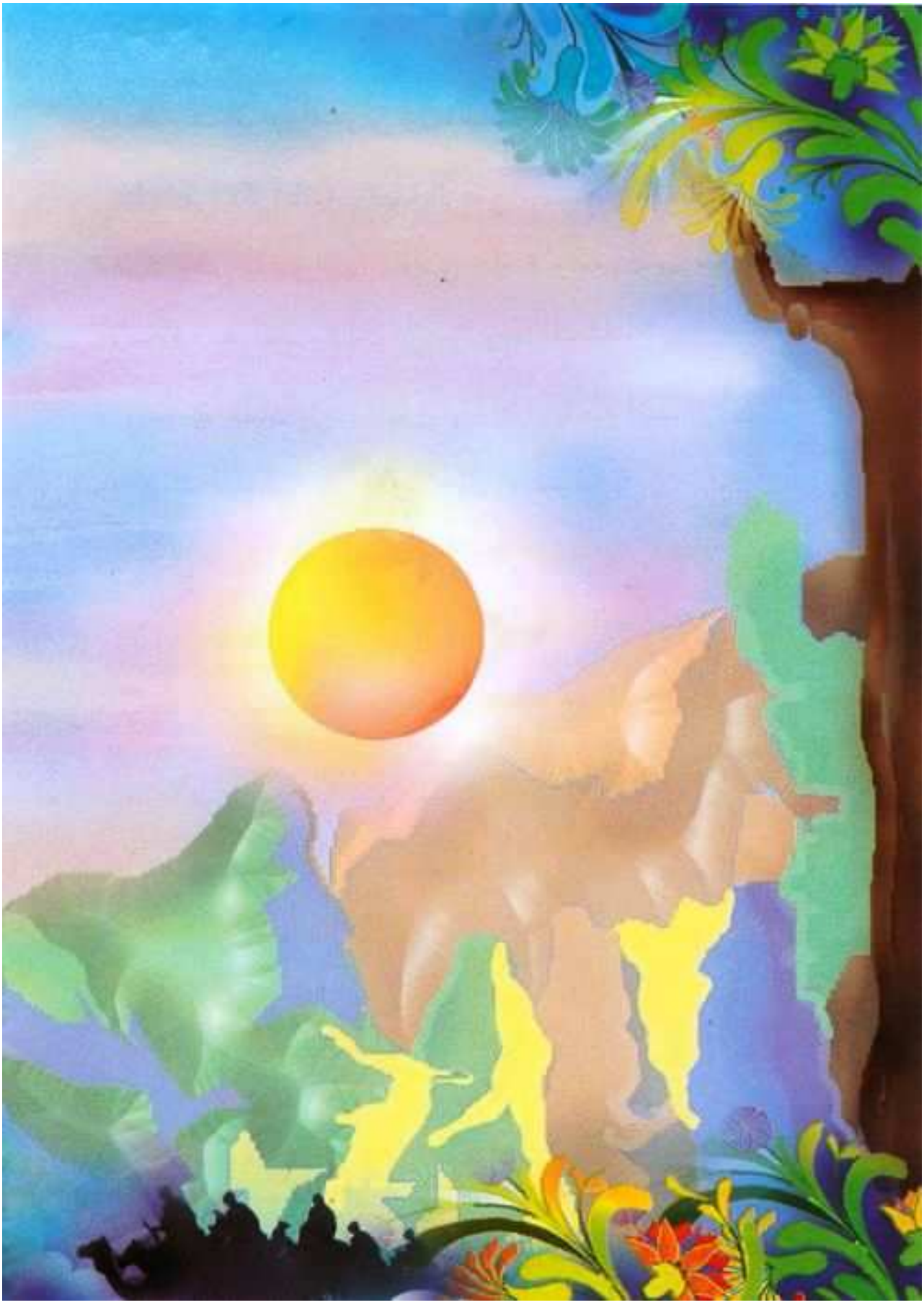
(يا أحبابَ الله .. يا أصحابَ محمدٍ عليه السلامُ .. يا أبطالَ المعاركِ .. ادفعوا إليَّ باللواءِ فإني رجلٌ أعمى لا

أستطيع أن أفرَّ ، وأقيموني بين الصفين) .

يا لها من فكرةٍ ذكيةٍ .. فهذا الأعمى سيمضي في طريقه مقبلا ولن يُدْبِرَ أبدًا .. ومن خلفه ارتفعت صيحةُ الإسلامِ : الله أكبر .. وكان النصرُ يومها للمسلمين ..

رحمةُ الله عليك يا صاحبَ رسولِ الله .. يا من أضاءَ الإيمانُ بصيرَتك فحملتَ رايةَ الإسلام إلى النصرِ .







8

قصص الصحابة

الفتى الحكيم

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

الفتى الحكيم

(مصعب بن عمير)

[لقد رأيت مُصعبا هذا .. وما بمكة فتى أنعمَ عند أبويه منه ، ثم ترك ذلك كله حُبا لله ورسوله] صدق رسول الله ﷺ

هو فتًى من أبهى فِتيانِ قريشٍ مظهرًا وأكثرهم أناقةً ووسامةً .. وهو فوق هذا من أحْكَمِ شبابِ جيله وأكثرهم رزانةً ووقارًا ورجاحةَ عقلٍ ..

وُلِدَ وشبَّ في أسرةٍ من أكثرِ أُسَرِ مكةَ ثراءً .. وكان موضعَ تدليلٍ من أبويه فمنحاه من أسبابِ الرفاهيةِ والأناقةِ كما منحته الحياةُ جميلَ القوامِ والبشرةِ والملامحِ ليصبحَ زينةَ المجالسِ ومضربَ الأمثالِ..

هو (مصعب بن عمير) .. (مصعب الخير) .

ذهبَ (مصعبٌ) في رحلةِ صيدٍ خارجَ مكةَ .. ولما عادَ شعرَ بأن شيئًا جَلَلاً قد حدثَ .. فالناسُ يتكلمون .. يتهامسون ويتصايحون .. والجميعُ يحكي عما حدثَ من يومين عندما

اعتلى (محمدٌ الأمينَ) جبلَ الصفا ونادى في القبـائلِ .. ولمـا اجتمع الناسُ حوله قال لهم : "إني رسولُ الله إليكم خاصةً وإلى الناسِ عامةً" ولأن مصعبًا كان شابا حكيما وحَصِيفا .. فقد أراد أن يعرفَ أكثرَ ليكون حكمُه على الأمرِ صحيحًـا وسليمًا . وكان لابدَّ أن يسألَ .. فسـأل صديقـه (جبيرَ بـنَ مُطْعِم) .. وأخبره الأخيرُ أن (محمدًا) قال إنه يتلقى وحيًا من ربه وأنه تلا بعضَ هذا الوحي ..

فسأله (مصعبٌ): وماذا قال؟

وتلا جُبيرٌ :

﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِـينَ وَأَنـذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِـينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾

[الشعراء : 213 - 215]

وتأمل (مصعبٌ) هذا القولَ وتَعَجَّبَ .. إنه حديثٌ حلـوٌ طليٌّ.. لم يسمعَ مِثلَه من قبل.. فهل هو حقًّا وَحْيٌ مِـنْ عِنـد الله.. لمـا لا ؟! إن محمـدًا معـروفٌ بالأمانـةِ والصـدقِ مـع الناسِ .. فكيف يكذبُ على الله؟

راح (مصعبٌ) يفكّرُ وقد ملأ عليه هذا الأمرُ عقلَه وقلبَه فزهدَ في الطعامِ .. وجفاه النومُ .. وامتلأ رأسُه بالأسئلةِ وصَمَّمَ في الصباحِ أن يجدَ لأسئلتِه الحائرةِ إجابةً شافيةً .

إلى دارِ الأرقمِ بنِ أبي الأرقمِ) قادته قدماه كما قادَه قلبُه فجلسَ بين يدي رسولِ الله يسأله ويسمع منه صادقَ الحديثِ .. وقبلَ أن يغادرَ (مصعبٌ) المكانَ كان قد نطقَ بالشهادتين أمامَ رسولِ الله.

كان (مصعبُ بنُ عميرٍ) سيدًا في قومه ، ثريًّا ، مرهوبَ الجانب ، فهو لا يخشى غضبَ سادةِ قريشٍ من إسلامِه ، لكنه كانَ فقط يخشى غضبَ أمه (خُناسَ بنتِ مالكٍ) التي كانت واحدةً من أثرياءِ مكةَ المعدودين يهابها سادةُ قريشٍ ويحسبون لها ألفَ حسابٍ، وكانت امرأةً عنيدةً متطرفةً في إيمانِها بآلهتها الحجريةِ التي تسجدُ لها وتحرصُ على إرضائِها .. لهذا فقد أخفى (مصعبٌ) عنها إسلامَه فكان يصلي سرًّا ويتسللُ في المساءِ إلى (دار الأرقمِ) فيتزودُ من لقاءِ الرسولِ الكريمِ بزادِ الإيمانِ . لكنه كانَ من المستحيلِ أن يظلَّ الأمرُ سرًّا في مكةَ .. هذه المدينةُ التي اهتزت

جنباتُها بهذا الأمرِ العظيمِ - نـزولِ الوحـي علـى محمـدٍ- وعلمت (خُنـاسُ) بخـبرِ تـرددِ ابنـها علـى (دارِ الأرقـمِ) .. وسألته وأتتها الإجابة : (لقد آمنتُ بالله الواحد الذي خلق السمواتِ والأرضَ والليلَ والنهارَ وجعلَ الحياةَ والموتَ) .

ووقف (مصعبٌ) ثابتًا شامخًا مزهوًّا بإيمانِه وباتباعِه لنـورِ الهُدَى.. وازدادت ثورةُ الأمِّ وأمرت عبيدَها أن يقيدوا سـاقَي ابنها وأن يُلْقوا به في مكانٍ مظلمٍ من البيتِ ..

ولم تهتزّ شعرةٌ مِن رأسِ الفتى المؤمنِ الذي أنـارَ الإيمـانُ ظلمةَ محبسِه والذي أشـبعه ورواه ذكـرُ الله.. فلـم يَجُـعْ ولم يظمأْ .. وانتظرَ رحمةَ الله ..

وجاءته رحمةُ الله فتمكـن مـن الهـربِ وانضـمَّ إلى قافلـةِ المهاجرين إلى الحبشـةِ إلى أن أذِنَ اللهُ لهـم بـالعودةِ إلى مكـةَ حيثُ كان رسـولُ الله وصحبُـه يواصلـون دعوتَـهم للديـن الحقِّ ..

وما أن دخلَ (مصعبُ بنُ عميرٍ) مكةَ حتـى قَصَـدَ النـبيَّ الكريمَ.. يُلقى في أحضانِه همومَ رحلتِه ويتزوَّد مـن حديثـه ومن نصيحته .. وجلسَ (مصعبٌ) وَسَـطَ رفاقِـه المسـلمين

الذين تأملوا لمظهرِه وثيابِه.. وشعرَ الرسولُ بما يدورُ في أذهانهم.. فأشرقَ وجهُه الشريفُ بابتسامةٍ عذبةٍ وقال : (لقد رأيت مصعبًا هذا ، وما بمكةَ فتى أنعمُ عِنْدَ أبويه منه .. ثم ترك ذلك كله حبًّا لله ورسولِه) .

وكانت عودةُ (مصعبٍ) إلى مكةَ فرصةً كي تحاول أمُّه أن تَرُدَّه عن دينه .. لكن هيهات للقلبِ العامرِ بنورِ الله أن يبحثَ عن مغرياتِ الدنيا وكان الفراقُ بين الفتى وأمِّه ..

كانت مجموعةٌ من أهلِ يثربَ قوامُها اثنا عَشَرَ رجلا قد بايعوا الرسولَ – عليه السلامُ – عند العقبةِ ليكونوا نواةً مسلمةً لمدينةٍ مباركةٍ (مُنَوَّرَةٍ) بنبيها .. وعاد هؤلاءُ ينشرون دعوةَ الإسلامِ بين أهليهم .. واستجابَ الكثيرُ لدعوتهم .. لكنهم كانوا يحتاجون لفقيه بينهم يعلّمهم ويُرْشِدهم لصحيحِ الدينِ .. فأرسلوا إلى النبي أن (ابعثْ إلينا رجلاً من أصحابك يفقّهنا في الدينِ ويعلّمنا القرآنَ) فمن هو الرجلُ الذكيُّ التقيُّ القويُّ الإيمانِ الحصيفُ الحافظُ لكتابِ الله دَمِثُ الخُلُقِ حسنُ البيانِ الذي يصلحُ لهذه المهمة؟!

واختار النبيُّ (مصعبَ بنَ عمير) لهذه السفارةِ وهناك مَنْ

هُمْ أكبرُ منه سِنًّا وأقدمُ إسلاما .. لقد وَجَدَه أهلا لهذه المهمةِ .

ويغادر (مصعبُ بنُ عُميرٍ) مكةَ مرةً أخرى .. يغادر البلدَ التي وُلِدَ فيها والتي عاشَ فيها صباه وشبابَه .. وتركها ليتولى مهمةً جديدةً في سبيلِ الله .

لابد أن (مصعبًا) كان مشغولا بالمهمةِ التي هو مقبلٌ عليها فلم يشعرْ بمشقةِ السفرِ .. ولابد أنه كان يفكرُ فيما يمكنُ أن يلاقي من صِعابٍ ومشاقَّ .. لكنه كان – بغير شَكٍّ – واثقًا من تأييدِ ربه له.. ولابد أنه كانَ يستعيدُ نصائحَ رسولِ الله ودعاءه له ..

وعندما لاحت نخيلُ يثربَ من بعيدٍ رفعَ (مصعبٌ) كَفَّيه إلى السماءِ داعيًا ربَّه أن يوفِّقه إلى ما يحبُّ ويرضَى .

واختار (مصعبٌ) منزلَ (أسعدَ بنِ زرارةَ) ليكون مقرًّا لإقامته كما اختارَ صاحبَ البيتِ ليكون عونًا له في مُهمته .. ولم لا وهو أحدُ المبايعين في بيعةِ العقبةِ ؟!

لابد أنها كانت مهمةً شاقةً وصعبةً فهو ليسَ أمامَ بناءٍ

قديم يهدمُه ويبـني غيرَه على نَسَقٍ جديدٍ .. لكنه أمامَ عقيدةٍ .. نعم .. عقيدةٍ لها في نفوسِ أصحابها تاريخٌ وذكرياتٌ وتقديسٌ وتكريمٌ فكيف يَسْتَلُّ هذه العقيدةَ المتأصلةَ ويضع مكانها عقيدةً أخرى ؟ .. إنها فعلا مهمةٌ صعبةٌ .

وتمضي الأيامُ (بمصعبِ بنِ عُمَيرٍ) ينتقلُ بين الناسِ في الدورِ والأسواقِ .. في أماكنِ العملِ وفي تجمعاتِ التجارةِ .. يدعوهم إلى سبيلِ الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ ويجادلُهم بالتي هي أحسنُ.. وتُثمرُ الكلماتُ المضيئةُ نورًا بعد نورٍ .. وتتلألأ قناديلُ الإيمانِ في القلوبِ قلبًا بعد قلبٍ حتى يكاد لا يخلو بيتٌ في يثربَ كلها من إنسانٍ يردد أن (لا إلَهَ إلا الله .. محمدٌ رسولُ اللهِ).. وعندما أتى موسمُ الحجِّ .. شهدت الصحراءُ بين مكةَ ويثربَ قافلةً مباركةً يزيدُ عددُ أفرادِها عَلى سبعينَ مُسلمًا تبدُ تكبيرتُها سكونَ الكونِ .. الله أكبرُ .. الله أكبرُ .. لا إلهَ إلا الله ..

متاعبُ عديدةٌ تعرضَ لها (مصعبُ بنُ عُميرٍ) في أثناءِ هذهِ المهمةِ الجليلةِ ، ومواقفُ سَجَّلها التاريخُ بوقائعها

وأخرى ابتلعتها الأحداثُ فراحت في طَي النِّسيان ..

ولنقفْ هنا عِنْدَ الموقفِ الذي أسلم فيه واحدٌ من أشْرافِ العربِ المعدودين هو (أُسَيْد بن حُضَير) سيدُ الأوسِ المعروفِ بالكرمِ والجودِ والشجاعةِ في إبداءِ الرأي والاستبسالِ في الحربِ .

كان يومًا عاديًّا في حياةِ (مصعبِ بنِ عُمَيرٍ) في (يثربَ).. فها هو يجلسُ في منزلِ (أسعدَ بن زُرارةَ) يحيطُه المسلمون .. ويستمعون إليه قارئًا للقرآنِ ومُجيبا على الاستفسارات مردِّدًا لما عرفه من سنةِ رسولِ الله عليه السلامُ .. كان المستمعون وكأن على رُؤوسهم الطيرَ يتطلعون إلى وَجْهِ (مُصْعبٍ) الذي أناره الإيمانُ ويستمعون إلى صوتِه الخاشعِ .. واقفين معه عِنْد كُلِّ لفظٍ قرآني وعند كل توجيهٍ نبويٍ .

وبين الحينِ والحينِ .. يقطعَ سكونَ المكانِ طَرْقٌ خفيفٌ على باب الدارِ يستأذنُ صاحبُه في الدخولِ والانضمامِ إلى مجلسِ الهُدَى والإيمانِ ، وفجأةً يسمعُ الحضورُ دقًّا عنيفًا متتابعًا .. وقامَ صاحبُ الدارِ يستطلعُ الأمرَ فإذا (بأسيد بنِ

حُضيرٍ) شاهرًا حربتَه .. تفضحُ أساريرُ وجهه عن غضبٍ وثورةٍ .. وما أن رأى (مصعبًا) وقد تحلّقَ حولُه مريدوه ويستمعون إليه حتى صاحَ قائلا : (ما جاءَ بكَ إلينا تُسَفِّهُ ضعفاءنا وتغيِّرُ أحوالنا؟! اعتزلنا إن كان لكَ بنفسِك حاجةٌ ..)

وبهدوء المؤمنِ الواثقِ .. الذكيِّ الحكيمِ .. ردَّ عليه (مصعبٌ) : "أو تجلس فتسمع .. فإن رضيتَ أمرًا قبلتَه .. وإن كرهتَه كَفَفْنَا عَنْك ما تكره" .

يا له من ذكاءٍ ومنطقٍ عاقلٍ .. لقد رأى (مصعبٌ) أن العقلَ هو اللغةُ التي يجب أنْ يتحدثَ بها مع هذا العاقلِ .. ولأنه واثقٌ من صدقِ دعوتِه .. فقد كانَ واثقًا من نجاحِ مهمته ..

وأدار (أسيدٌ) الأمرَ في عقلِه .. فهذا غريبٌ عن ديارنا وله عندنا واجبُ الضيافةِ .. ثم هو يدعوني لأسمع قبل أن أصدرَ حُكْمِيَ .. وهذه هي الحكمةُ وعينُ العقلِ ..

وأسندَ (أسيدٌ) حربتَه إلى الجدارِ وجلسَ يستمعُ إلى قولِ (مصعبٍ) .. يسألُ ويسمعُ الإجابةَ .. ويديرُ في رأسِه فيجده

منطقَ عقلاءٍ وقولَ حكماءٍ .. ويشرقُ النورُ في قلبِ (أسيدٍ) ويتهللُ وجهُه بالفرحةِ ويتجه بالحديثِ إلى (مُصْعبِ بنِ عميرٍ) :

(ما أحسنَ هذا الكلامَ وأجملَه .. كيفَ تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟)

ويقفزُ قلبُ (مصعبٍ) من الفرحةِ والرِّضا ويجيبه :

(تغتسلُ فتتطهرُ وتطهرُ ثوبَك ثم تشهدُ شهادةَ التوحيدِ .. وتصلي) وأسرع (أسيدٌ) فاغتسلَ وطهرَ ثيابَه ونطقَ بالشهادة أمامَ (مصعبٍ) الذي عَلَّمه الصلاة .. وقامَ الرجلُ ليصليَ ركعتين مُوَدِّعًا جاهليتَه مستقبلا أيامَ الإسلامِ والتوحيدِ ..

ولنعد لمتابعةِ هذا الصحابي العظيمِ (مصعبِ بنِ عميرٍ) .. فقد عادَ مع قافلةِ النورِ إلى مكةَ .. وما أن دخلها حتى أسرعَ إلى النبيِّ يملأ عينيه وقلبَه من وجهه الكريم .. راح ينقلُ إليه البُشْرَى .. فقد انتشرَ الإسلامُ في (يثربَ) وأعلنَ زعماؤها وأشرافُها وقادتُها إسلامَهم.. لقد ثبتَ وجودُ الإسلامِ في (يثربَ) ..

ويرجعُ (مصعبُ بنُ عميرٍ) إلى (يثربَ) ليكونَ في استقبال رسولِ الله مع إخوانه من المسلمين الأنصار .. وتسعدُ هذه المدينةُ المباركةُ بالنبيِّ المباركِ ويتغير اسمُها إلى (المدينةِ المنورةِ) .. فهي حقًّا مُنَوَّرَةٌ بالنبيِّ (محمدٍ) وبصَحْبِه الكرامِ .. ويؤاخي النبيُّ بين المهاجرين والأنصارِ ويؤاخي بين (مصعبٍ) وبين (أبي أيوبِ الأنصاري) ..

ويستقر الحالُ بالمسلمين في المدينةِ المنورةِ .. لكن الغيظَ والحقدَ لا يهدآن في نفوسِ مشركي مكةَ فيجهزون لغزوِ المدينةِ أملاً في تحطيمِ أركانِ هذه الدعوةِ .. ويلتقي الفريقان في (غزوةِ بدرٍ) والتي كانت هزيمةً نكراءَ للمشركين .. عادوا بعدها إلى مكةَ يجرون أذيالَ الخيبةِ والفشلِ ويندبون قتلاهم ويرسلون في فداء أسراهم..

كان (أبو عزيز) شقيق (مصعبِ بنِ عُمَيرٍ) واحدًا من حملةِ لواءِ المشركين في بدرٍ وأسره المسلمون . ولما عَلِمتْ أمه بهذا دفعتْ له أربعةَ آلافِ درهمٍ فِداءً .. وكان هذا أغلى فداءٍ قُدِّم لفارسٍ من فرسانِ قريشٍ ..

لكن معركة (بدر) لم تكن نهايةَ الصراعِ العسكريِّ بين

المسلمين ومشركي مكـة بـل إنـها أشـعلتْ نـارَ الحقـدِ في قلوبـهم فجمعـوا القبـائلَ وجَيَّشُـوا الجيـوشَ وبـالغوا في التسليحِ وخرجوا يطلبون الثأر من المسلمين .

وكان اللقاءُ الثاني في (أُحُـدٍ) .. يومـها خـرجَ المسـلمونَ يدافعون عن (المدينةِ المنورةِ) عنـد جبـل (أُحُـدٍ) .. وأعطى رسولُ الله اللواءَ (لمصعبِ بنِ عميرٍ) واثقًـا أنـه خـيرُ مَـنْ يقاتلُ للحفاظِ عليـه .. واصطفـت جنـودُ الإسـلامِ وطلـبَ النبيُّ من الرماةِ الصمودَ في أماكنهم حتى يعطىَ أوامرَه بغيرِ ذلك .. وتحقق النصرُ للمسلمين في أولِ المعركةِ وانسحبتْ جنودُ الشركِ مخلفةً وراءها الغنائمَ التي أغرتْ البعضَ بتركِ السلاحِ للظفرِ بها .. ونسى بعضُ الرماةِ تعليمـاتِ رسـولِ الله وظنـوا أن المعركـةَ قـد انتـهتْ لصالحِـهم فـتركوا مواقعَهم .. وينتهزُ الكفارُ هذه الفرصةَ ويعـودوا ليـهجموا على المسلمين هجمةً راحَ ضحيتها سبعون شهيدا من خِيْرةِ صحابةِ رسولِ الله منهم (مُصْعَبُ بـنُ عُمـيرٍ) و(حمـزةُ بـنُ عبدِ المطلبِ) .

فكيف كان استشهادُ (مصعبِ بنِ عميرٍ) ؟

التفتْ مجموعةٌ من الصحابةِ حولَ النبيِّ يدافعون عنه وهم يعلمون أنه هدفٌ لهؤلاءِ المعتدين الآثمين .. وكان (مصعبٌ) – حاملُ اللواءِ – هو أكثرَ الصحابةِ استماتةً في الدفاعِ عن النبيِّ الذي آمن به .. وكان ينادي بأعلى صوتِه (وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرسلِ) وقد أكرمه الله بأن جعلها نَصًّا قرآنيًّا نزلَ به الوحيُ ..

وتصدى أحدُ فرسانِ المشركين (لمصعبٍ) فأصابه في يمناه وقبل أن تسقط الراية تلقاها المؤمنُ المجاهد بيسراه .. فهجم عليه هذا الفارسُ فأصابَ يُسْراه .. ويحتضنُ (مصعبٌ) الرايةَ ضَانًّا عليها أن تسقطَ ما دامَ في صدرِه قلبٌ ينبضُ ..

وينقضُّ الفارسُ المشركُ برمحِه ليغرسه في جسمِ (مُصْعبٍ) فيسقطُ شهيدًا محتضنًا رايته ..

وتنتهي المعركةُ .. ويقفُ الرسولُ عليه السلامُ ومعه صحابتُه وسطَ جثثِ الشهداءِ .. وتجري دموعُهم أسفًا على فِراقِ إخوانِهم المجاهدين في سبيلِ الله ..

وتتمتمُ السنتهم :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾

[الأحزاب : 23]

ويجولُ الرسولُ عليه السلامُ ببصرِه بين صحابتـه ورفـاقِ جهادِه من الشهداءِ ويقـولُ : "إن رسـولَ الله يشـهدُ أنكـم الشهداءُ عند اللهِ يومَ القيامةِ" وأقبلَ على صحابته يقـول : "أيها الناس زوروهم وأتوهم وسلموا عليهم .. فـو الـذي نفسي بيده لا يُسَلِّمُ عليهم مسلمٌ إلى يـومِ القيامـة إلا رَدُّوا عليه السلامَ" .

ولما أراد أصحابُ (مصعبٍ) أن يكفنوه في بُرْدته .. كانت إذا غَطُّـوا بـها رأسَـه كشـفتْ رجليـه ، وإذا غطـوا رجلَيـه انكشفت رأسَه.. فقال لهم رسول الله : "اجعلوهـا مـا يَلِـي رأسَه" ثم نظرَ إلى وجه مصعبٍ وقد علاه الترابُ وقال :

"لقد رأيتك بمكةَ ، ومـا بـها أرقُّ حُلَّـةٍ ولا أحسـنُ لُمَّـةٍ منك .. ثم هأنتذا شَعْث الـرأسِ في بُـرْدٍ" . صـدق رسـول الله .



9

قصص الصحابة

الراعي الأمين

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

الراعى الأمين

(عبد الله بن مسعود)

[أخذتُ من فَمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورةً لا ينازعنى فيها أحدٌ] عبد الله بن مسعود

كان الوقتُ ضحًى وقد اجتمع سادةُ قريشٍ ، ووجهاؤها حول الكعبةِ فى مجموعاتٍ تتناقش فى أمورِ تجارتها ، ومبادلاتها ..

لقد اطمأنوا إلى أن العبيدَ ، والخدمَ قد خرجوا إلى المراعى ، يدفعون أمامهم الإبلَ ، والأغنامَ .. كما اطمأنوا إلى أنَّ هناك من الإماء من يقمن على خدمة الدورِ ، وسيداتِ البيوتِ ...

جاء هؤلاء كما هى العادة يجلسون معًا ، للمشورة ، والحديث ، وقبل أن يأخذ كلٌّ منهم مكانه متوجها إلى صنمه يقدم له التحيةَ، ويسأله العونَ ، والتوفيقَ .. نَعَمْ .. فقد كانَ لكلِّ مجموعةٍ صنمٌ خاصٌّ بها .. وأحيانا أخرى يكون لكل

مسألة صنم ..

فهذا الصنمُ يسألونه الرِّبْحَ الوفيرَ ..

وذاك يتوسلون إليه ، كى يَشْفى مريضا ..

أما الثالث فإنهم يقدمون له القرابين ، كى تُنجب نساؤهم ذكورا ، يكونون عونا لهم وسَنَدًا ..

وبينما كان هؤلاء السادةُ جلوسًا يتناقشون ، ويتضاحكون .. إذا بصوتٍ يرتفعُ بقراءةٍ غريبةٍ :

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.. الرَّحْمَنُ .. عَلَّمَ الْقُرْآنَ .. خَلَقَ الإِنْسَانَ .. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ.. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾

[الرحمن : 1 – 5]

والتفت الجميعُ إلى مصدر الصوتِ متعجبين . إنه هذا الفقيرُ النحيفُ القصيرُ القامةِ .. وتبادلَ سادةُ قريشٍ نظرةَ تعجبٍ ، وهم يتساءلون : أليس هذا شيئا مما يقوله محمدٌ ، ويدعى أنه قد أوحى إليه من السماء ..

ومضى الفتى يقرأ رافعا صوته :

﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ.. وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ .. أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ .. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن : 6 – 9] .

وقام الجمعُ إلى الفتى يضربون وجهَه ، ورأسَه وجِسْمَه ، وهو ماضٍ فى قراءته لا يقطعها حتى غلبوه ضربا ففرَّ منهم راجعا إلى أصحابه .. وما إن دخلَ عليهم حتى أسرعوا يمسحون جروحَه ، ويغسلون ما سال من دَمِه ، وقالوا له :

هذا الذى خشيناه عليك .

فرد عليهم (عبد الله بن مسعود) :

بأنه يتمنى أن يعود إليهم فيُسمعهم من القرآنِ ما يثير غضبهم مرة أخرى .

فمن هو (عبد الله بن مسعود) وكيف دخلَ الإسلامَ ؟..

وكيف كان لقاؤه الأول بالرسولِ (عليه الصلاة والسلام) .

كان (عبد الله) غلاما أجيرا يرعى غنمَ واحدٍ من سادةِ

قريش فى أطراف مكة .. وبينما هو جالسٌ يوما يراقبُ أغنامَه مرَّ به النبىُّ الكريم ، ومعه صاحبُه الصديقُ (أبو بكر) فطلبا منه بعض اللبنِ ورفضَ الغلامُ أن يسقيهما قائلا : إنى مؤتمن ولست ساقيكما ..

يا لأمانة الفتى !!

فطلب منه النبىُّ أن يأتيه بشاة ليس فيها لبنٌ .. ومسحَ النبىُّ على ضرعها ، فامتلأ لبنًا ، فحلبَه ، وشَرِبَ ، ومعه أبو بكر ، وكذلك الفتى الذى تعجب مما رأى وانبهر ..

فسأل (عبد الله) محمدًا أن يعلمه بعضَ هذا وقد ظنه سِحْرًا. فقال له النبى الكريم : "إنك غلام مُعَلَّم" .

وتبع (عبد الله بن مسعود) النبىَّ ، وأعلن شهادته أمامه ، ليكون سادسَ من يدخل فى دين الإسلام .

هكذا تحول مصيرُ الفتى الأمين الذى رفض أن يفرِّط فى بعض اللبنِ المملوك لسيدِه ..

وبعد أن كان أجيرًا يرعى الغنمَ ، أصبح أكثر المسلمين

عِلْما بالقرآن ، والسنة والفقه ..

وظل عبدُ الله بن مسعود قريبا من النبىِّ صلى الله عليه وسلم .. حتى قال هو عن نفسه : قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : (إِذْنُكَ عَلَىَّ أن يُرْفَعَ الحِجَاب وأنْ تَسْتَمِعَ سِوَادِى حتى أنهاك) .

وقال الصحابى أبو موسى الأشعرى عن مكانة عبد الله ابن مسعود من النبى (إنه كان ليدخل إذا أحجبنا ويشهد إذا غبنا).

ويقول فى رواية أخرى : لقد رأيت النبى عليه السلام وما أرى إلا ابن مسعود من أهله ..

فقد لازمَ (عبدُ الله بن مسعود) النبىَّ الكريم ولم يكن يفارقه .. وكان يحفظ كل ما يسمعه منه خاصة القرآن الكريم حتى أوصى الرسولُ أصحابَه أن (تمسكوا بعهد ابن أمِّ عَبْد) أى (عبد الله بن مسعود) .. كما أوصاهم أن يحاكوا قراءته ، ويتعلموا منه كيف يُتلى القرآن ؟

وفى الحديث الصحيح :

(من أحبَّ أنْ يَسْمَعَ القرآنَ غَضًّا كما أُنزل فليسمعْه من ابن أم عبد ، ومن أحبَّ أن يقرأ القرآنَ غَضًّا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد) .

كان صوتُ عبدِ الله بن مسعود نَدِيًّا يملأ القلوبَ خشوعا ، ويحكى لنا عبد الله أن الرسولَ قال له : (اقرأ عليّ) قلت يا رسول الله أأقرأ عليك وعليك نزل ؟! ، قال : نعم . فقرأت سورة النساءِ حتى أتيت إلى هذه الآية :

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء : 41]

قال عليه السلام : حَسْبُك الآن فالتفتُّ إليه فإذا عيناه تذرفان الدمعَ) .

وإلى جانب إجادته لقراءةِ القرآنِ .. كان عبدُ الله بن مسعودٍ فَصِيحًا ، قوىَّ الحجة ، واضحَ البيان ، قوىَّ العبارةِ .. خَطَبَ النبىُّ يومًا خطبةً وَجِيْزَةً ثم قال : قُمْ يا أبا بكر ..

فقام فَخَطَبَ دون النبيُّ عليه السلام .. فقال : قُمْ يا عمر : فاخطب .. فخطب عمر فقصَّر.. ثم قال قم يا فلان فاخطب ، إلى أن قال : قم يا بن أم عبد (يعنى عبدَ الله بن مسعود) فقام عبد الله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

"أيها الناسُ إن الله ربنا .. وإن الإسلامَ ديننا وإن هذا نبينا ـ وأشار بيده إلى النبى ـ رضينا ما رضى الله لنا ورسوله والسلامُ عليكم" فقال الرسولُ عليه السلامُ : (أصاب ابن أم عبد ، وصدق ابن أم عبد) .

أحبَّ النبيُّ صاحبَه عبدَ الله بن مسعود وأولاه ثقة كبيرة ، وقرَّبه منه حتى أنه كان يسمحُ له بِطَرْق بابِه وقتما شاء .. ليلا ، أو نهارًا.. ولازم (ابن مسعود) النبيَّ ، وشَهِدَ معه كل أسفارِه ، وكل غزواته ، وكان له فيها بطولاتٌ عظيمةٌ ..

كان عبدُ الله فتى مُعْدما .. ناحلَ الجسمِ .. ضامرَ الأطرافِ ، لا جاهَ له ولا عشيرةَ ، لكنه كان أمينا .. مؤتمنا.. وهذه هى ملامحُ الرجولةِ المبكرةِ ، والشجاعةِ، والنفسِ السَوِيَّةِ .. وهكذا كان عبدُ الله بعد إسلامِه .. فرفعه

الإسلامُ .. ومنحه شرفًا ، وعِلْمًا ووضعه فى مقدمةِ صحابةِ رسولِ الله ..

لقد تنبأ له الرسولُ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ يوما بأنه سيكون (غلاما مُعَلَّما) .. وقد كان ، فقد علمه ربه ، ورباه النبىُّ فأضحى فقيه الأمة ، وعميد حَفَظَةِ القرآن ..

كان قبل إسلامه غلاما منزويا يشعرُ أن فقرَه يضعُه فى ظلِّ الحياة ، وعلى هامشها ، لكنه أصبحَ بعد إسلامه جريئًا فى الحقِّ يرفعُ صوتَه فى داخلِ الكعبةِ بآياتِ القرآنِ على مسمعٍ من كفارِ قريشٍ .. ولما لا .. وقد اقتنع بأنه كلامُ الله الذى أُنزلَ على نبيه ، ورسوله؟!..

لقد أثابه الله على هذه الشجاعةِ ، والمخاطرةِ ، وأعزَّه بالقرآن ، وميزه بحفظه حتى أنه قال عن نفسه : (أخذت من فَمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورةً لا ينازعنى فيها أحدٌ) .

كان (لابن مسعود) مكانةٌ خاصةٌ فى نفس النبىِّ .. كان

يحبه ويثق فى تقواه حتى أنه قال عليه السلام :

"اهدوا هَدْى عمار (عمار بن ياسر) وتمسكوا بعهد (ابنِ أمِّ عبد) (عبد الله بن مسعود) .

وهو القائل : "رضيت لأمتى ما رضى لها ابن أم عبد وسخطت لأمتى ما سخط لها ابن أم عبد" .

بعد وفاةِ النبىِّ الكريمِ عاشَ عبدُ الله (موسوعةً) تحفظُ كلَّ ما نَزَلَ على النبىِّ من وحى ، وكل ما قاله من حديث ، أو أتاه من فعل ، وكان مرجعَ الجميع فى أى خلافٍ بينهم.. وقد أولاه الخلفاءُ – أبو بكر ، وعمرُ وعثمانُ – رعايةً خاصةً ، عملا بوصيةِ النبىِّ ، واقتداءً بسلوكِه إلا أنَّ عبدَ الله بن مسعودٍ كان يخافُ أن يحدِّث عن النبىِّ بعد وفاته .. وكان إذا حَرَّك شفتيه ليقول : (سمعت رسول الله يقول) أخذته الرعشةُ والاضطرابُ ، وجرى عرقُه وتلعثمَ .. وينْهى حديثه قائلا : أو نحو ذلك .. أو شبه ذا .

فقد كان يخشى أن ينسى حَرْفًا ، أو لفظا .. أو يضع كلمةً

مكانٌ أُخرى .. لقد كان حبُّه ، وإجلاله ، وتوقيره للنبى ليس له مدى ..

ومع هذا الدورِ العظيمِ فى حِفْظِ كتابِ الله وسنة نبيه .. كان (لابن مسعود) دورٌ هام فى إرساء دعائم دولة الإسلام بعد أن اتسعت مساحتها وخضعت لها كثيرٌ من البلدان .

وكان الخلفاءُ الراشدون يوكلون إلى (ابن مسعود) المهامَّ الكُبرى خاصةً فيما يتعلق بالفتوى والقضاء وأمور بيت المال ..

وفى خطابه لأهلِ الكوفةِ يقولُ (الفاروق عمر) رضى الله عنه :

(إنى قد بعثت (عمَّار بن ياسر) أميرًا و(عبدَ الله بن مسعود) مُعلِّمًا ووزيرًا ، وهما من النجباءِ من أصحابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أهل بدر ، فاقتدوا بهما ، وأطيعوا واسمعوا قولهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسى) ..

هكذا كان (عمرُ) رضى الله عنه عارفا بقدْرِ (عبد الله بن مسعود) واثقا فى علمه وحُسْن تفقهه فى الدين .

وقضى (ابن مسعود) سنواتٍ طويلةً فى الكوفةِ .. قاضيا .. ومُفتيا .. وقائما على بيت مال المسلمين .. تغير فى أثناء وجوده ستةً من الولاة .. يستشيرونه وينزلون على رأيه .. لم لا .. وهم يعلمون أنه أحد المُبَشَّرِين بالجنة .

ألم يقل عليه صلواتُ الله وسلامه :

"لرِجْلا عبد الله فى الميزان أثقل من (أحد) " .

نعم قال رسولُ الله ذلك عندما ضَحِكَ بعضُ الصحابة من نحافة ساقيه ..

يروى أحد الصحابة : كنا عند (علىٍّ بن أبى طالب) رضى الله عنه فذكر بعضَ قولِ (ابن مسعود) وأثنى القوم عليه.. ثم قالوا: يا أمير المؤمنين ، ما رأينا رجلاً كان أحسن خُلقا ولا أرفق تعليما ، ولا أحسنَ مجالسةً، ولا أشدَّ وَرَعًا من (عبدِ الله بن مسعود) .

فقال كرَّم الله وجهه : ناشدتكم الله إنه لصلق من قلوبكم ..؟

قالوا : نعم .

فقال : (اللهم إنى أشهدك ، اللهم إنى أقولُ فيه مثل ما قالوا أو أفضل) .

أما (أبو موسى الأشعرى) المعروفُ بورعه وتقواه وعِلْمه فكان يطلبُ من الناس ألا يسألوه (عن شيءٍ ما دام هذا الحَبْرُ بين أظهركم) ويعنى (عبد الله بن مسعود) .

هذا هو (عبد الله بن مسعود) .. الذى بشَّره النبىُّ الكريمُ بالجنةِ ضِمْنَ من بَشَّرَ ..

فقد كان وثيقَ اليقينِ ، كبيرَ القلبِ ..

عظيمَ النفسِ ..

رجلٌ فتحَ الله عليه بنورِ الهُدى ..

وصاحبَ النبىَّ وأخذ عنه ..

وكان القرآنُ هو دستوره الوحيد ..

ومن بين كلماته الجامعة :

"خيرُ الغنى غِنى النفس .. وخيرُ الـزادِ التقـوى ، وشـرُّ العمى عمـى القلـب ، و أعظـم الخطايـا الكـذبُ ، وشـرُّ المكاسب الرِّبا ، وشرُّ المأكل مالُ اليتيم ، ومن يَعْـفُ يَعْـفُ الله عنه ومن يَغْفِرْ يغفرِ الله له" .

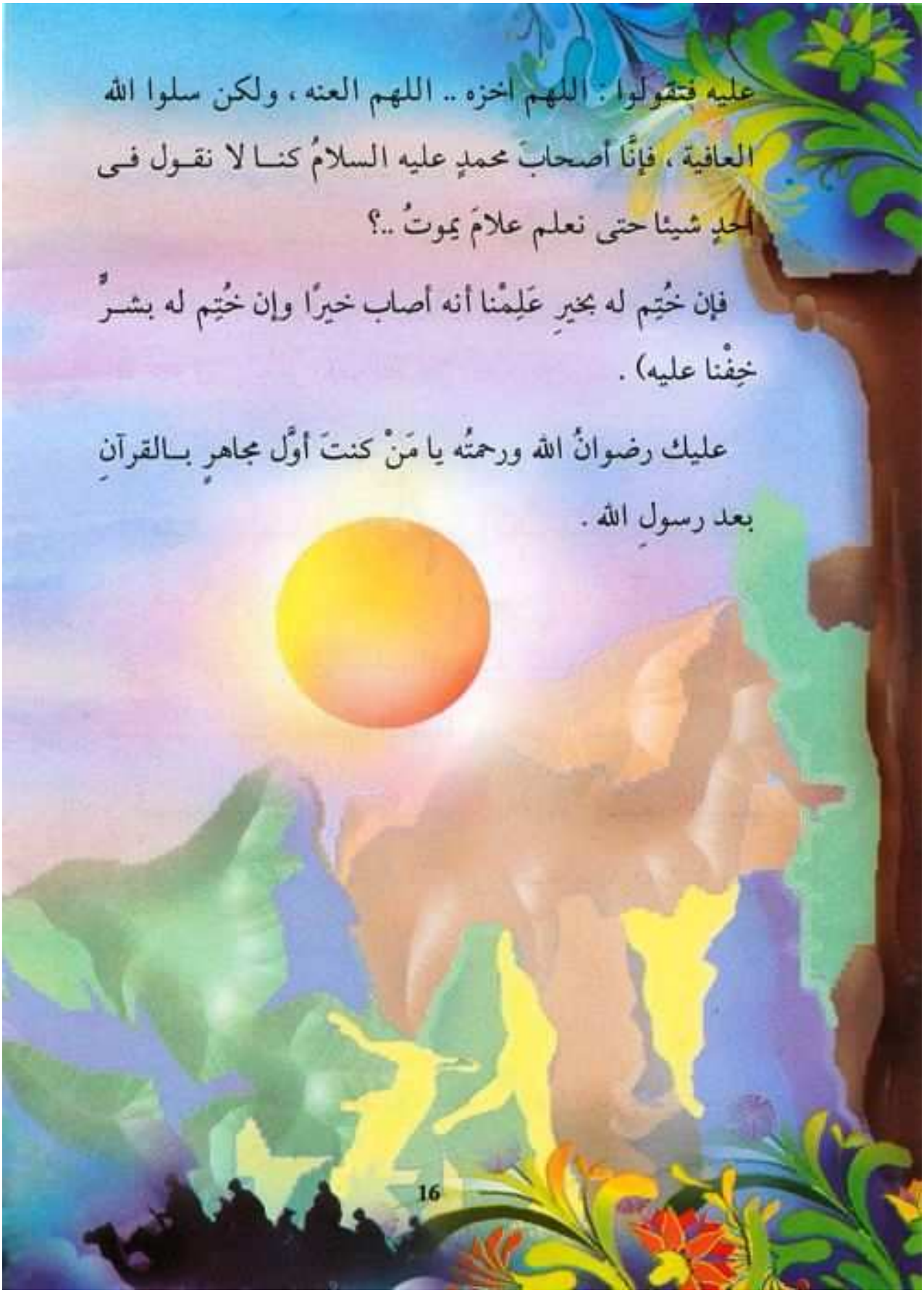
ومن أقوالِه التى تعكس حبه للعلم وإيمانه بأهميته :

(عليكم بالعلم قبل أن يُقْبض وقَبْضُه ذِهَابُ أهله ، فـإن أحدكم لا يدرى متى يفتقر إليه ، وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعونكـم إلى كتـابِ الله وقـد نبـذوه وراء ظـهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتعجُّل وإياكم والتنطُّع) .

أما خبرة (عبد الله بن مسـعود) بالحيـاة وبطبيعـة البشـر فتعكسها هذه المقولة الحكيمة التى نختـم بـها حديثنـا عـن هذا الصحابى العظيم .

يقول :

(إذا رأيتم أخاكم قَارَفَ ذنبا فلا تكونوا أعوانا للشـيطان



عليه فتقولوا : اللهم اخزه .. اللهم العنه ، ولكن سلوا الله العافية ، فإنَّا أصحابَ محمدٍ عليه السلامُ كنـا لا نقـول فـى أحدٍ شيئا حتى نعلم علامَ يموتُ ..؟

فإن خُتِم له بخيرٍ عَلِمْنا أنه أصاب خيرًا وإن خُتِم له بشـرٌ خِفْنا عليه) .

عليك رضوانُ الله ورحمتُه يا مَنْ كنتَ أوَّل مجاهرٍ بـالقرآنِ بعد رسولِ الله .



10

قصص الصحابة

سيد الشهداء

سلوى العنانى

دار اللطائف
للنشر والتوزيع

سيد الشهداء

(حمزة بن عبد المطلب)

دعاه إلهُ الحق ذو العرش دعوةً
إلى جنةٍ يحيا بـــها وســـــرورِ
فذلك ما كنا نُرجى ونرتجـــي
لحمزة يوم الحشر خـــيرَ مصيرِ

صفية بنت عبد المطلب (أخت حمزة)

لو قَلَّبنا صفحاتِ التاريخِ كلها بحثًـــا عـن صـاحبِ اسـمٍ يقـاربُ صـاحبَ هـذا الاسـمِ صلـةً بـالنبيِّ محمـدٍ ـ عليـه السلامُ ـ لما وجدنا ..

هذا هو حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ ..

عمُّ النبيِّ الكريمِ .. وهذه هي الصلةُ من جهةِ الأبِ ..

فماذا عن الصلة من ناحية الأم ؟

إنها هي الأخرى وطيدةٌ ولصيقةٌ ..

(فآمنة بنتُ وهبٍ) أمُّ النبيِّ الكريمِ هي ابنةُ عـمٍّ (هالـةَ بنتِ أُهَيْبٍ) أمِّ حمزةَ .. إذًا فهما في حُكمِ أولاد (الخالـة) ...

وهما يعد هذا وقبله أخوان في الرَّضاعة .. حيثُ أرضعتهما (ثويبةُ) جاريةُ (ابي لهبِ بنِ عبدِ المطلبِ) عمِّ النبيِّ وشقيقِ حمزةَ .. ها هما .. (محمدٌ) و(حمزةُ) متقاربان في العمرِ ومتحدان في الرضاعةِ ولصيقان في النسبِ ..

لكن طفولةَ الرجلين لم تكنْ متشابهةً ..

فهذا (محمدٌ اليتيم) .. يحبُّ العزلةَ والتفردَ بنفسه .. يتأملُ الكونَ ويطرحُ على نَفْسِه أسئلةً عن صانعِ هذا كُلِّه وخالقِه .. يرعى الأغنامَ ويبتعدُ عن كلِّ أماكنِ اللهوِ ..

أما (حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ) فكانَ مختلفًا .. فقد نَعِمَ بحنانِ أبيه حتى بلغَ الثامنةَ .. وبعد موتِ أبيه نهلَ من حُضْنِ أمه (هالة) من الرعاية والعطفِ ما عوَّضه عن فقدِ أبيه ..

وكان (حمزةُ) فتًى قويَ البنية .. يناطحُ أترابَه ويسارعُ في سباقِهم ويَبُزُّهم في ركوبِ الخيلِ وفنونِ القتالِ وهو لم يزلْ صغيرًا .. أما الصيدُ فقد كانَ هوايَتَه الأولى .. يخرجُ للفلاةِ كلَّ صباحٍ حاملاً سهامَه فيباري أقرانَه ويحققُ تفوقًا على غزلانِ الصحراءِ وطيورِها .. في الخِفَّةِ والسُّرعةِ .. وكثيرا ما عادَ إلى بيتِه مع غروبِ الشَّمسِ حاملا صيدَه .

لم تكنْ حياةُ حمزةَ هي الصيد والمغامرة والتدريب على فنونِ القتال فقط .. بل كانتْ مع هذا .. مشاركةَ طقوسِ قريشٍ ودورًا في قيادةِ شئونِ الحياةِ .. لم لا .. وهو ابن أشرف بيوتها وأعلاها نسبا ؟!

أصبح (محمدٌ) هو حديثُ أهلِ مكةَ كلها ..

الفقراءُ يتكلمون عن جنةِ العدل والمساواةِ والحقِّ وعن دينٍ يقول : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ .

والأغنياءُ يعارضونَ هذا الذي يُسَفِّهُ أفكارَهم ويدعوهم لعبادةِ إلهٍ واحدٍ .. ويريدُ أن يحطِّمَ أصنامَهم ويأمرَهم ألا يسجدوا إلا لله الواحدِ القهارِ ..

الفقراءُ يتسللون إلى دارِ الأرقمِ بنِ أبي الأرقمِ .. يحفظونَ عن النبي ما أُوحي إليه من القرآنِ ويصلون خلفَه ويبتهلون .

والأغنياءُ يرفعون أصواتهم عند الكعبة معلنين رفضهم واعتراضهم بل ويحرضون الآخرين لمحاربة (يتيم بني هاشم) ومناهضةِ أفكارِه وأقوالِه .

فماذا عن أشرافِ بني هاشم ؟ ماذا عن أهل (محمدٍ) وعشيرته؟ ماذا عن أعمامِه وأسرتِه؟

كان هناك من أهلِ (محمدٍ) من آمَن به .. فقد آمنَ به كلُّ أهلِ بيتِه : زوجته (خديجة) ومولاه (زيدٌ) وابنُ عمِّه (عليٌّ) .

وكان هناك من أيَّده ومنعَ عنه الأذى مثل عمِّه (أبو طالبٍ).. فماذا عن (حمزةَ) ؟

كان (حمزةُ) هو أقربُ الناسِ إلى (محمدٍ) وأكثرهم معرفةً بصدقِه وأمانته.. وكان يعرفُ أن حديثَه كُلَّه صدقٌ وحقٌّ .. لكنه كان يحلمُ بالسيادةِ والزعامةِ بين سادةِ قريشٍ وزعمائها ..

وكان (محمدٌ) يرقب عمَّه ويعرفُ نفسَه الصافيةَ ورجاحةَ عقلِه ويعرفُ قوتَه وفتوتَه ويتمناه إلى جوارِه يؤيِّده ويؤازره .. وينتظرُ لحظةً ينيرُ فيها الله بصيرتَه ..

كان (حمزةُ) عائدًا من رحلةِ صيدٍ عندما سمع من يناديه هامسًا، فتلفت حولَه ليجدَ واحدةً من خَدَمِ (عبدِ الله بنِ جدعان) تتجه إليه بالحديث :

(يا أبا عمارةَ .. لو رأيتَ ما لَقِي ابنُ أخيك (محمدٌ) آنفا من أبي الحَكَمِ بن هِشَام) .

فسألها (حمزة) في لهفة : ماذا حدث ؟

- وجده جالسا فسبَّه وآذاه ، وبلغَ منه ما يَكْره ، فانصرفَ عنه (محمدٌ) ولم يكلمه .

واشتعلت الثورةُ في رأسِ (حمزةَ) .. وهاجَ وغَضِبَ .. فكيف يُلْحِقُ هذا الأحمقُ (أبو جهلٍ) الأذى بأخي وابن أخي وابن خالتي ثم لا أمنع عنه ما يؤذيه؟! .. كيف يحدثُ هذا وأنا أحيا على هذه الأرضِ ..

وأسرع (حمزةُ) الخطوةَ فى اتجاه الكعبةِ قاصدًا (أبي جهلٍ) حتى وجدَه جالسًا وَسَطَ مجموعةٍ من التجارِ والأشرافِ ..

وكأنه صقرٌ يعرفُ فريستَه .. رفعَ (حمزةُ) قوسَه فضربَ به رأسَ (أبي جهل) فَشَجَّه .. وسالَ الدمُ على وجهِ الرجلِ .. ونظر متعجبا مثلما نظر كلُّ من حولَه .. وقد بدا في العيون سؤالٌ واحدٌ .. لماذا تضرب (يا حمزةُ) هذا السيدَ فتُسيلُ منه الدم ؟!

وقبل أن يَفُوقَ الجلوسُ من صدمتهم .. جاء صوتُ (حمزةَ)

وكأنه بخارجٌ من فوهةِ بركانٍ ..

أتشتمُ (محمدًا) وأنا على دينه أقولُ ما يقـول .. ثـم نظـر (حمـزةُ) إلى (أبـي جـهلٍ) في تحـدٍّ قـائلا : ردهـا علـيَّ إن استطعتَ .

وهَمَّ بعضُهم قائمـا يـردُّ علـى (حمـزةَ) مـا صنَـعَ (بـأبي جهلٍ) .. لكن الأخيرَ رَفَعَ يدَه إليهم يمنعهم قائلاً : (دعوه .. فقد سببت ابن أخيه سَبًّا قبيحًا) ..

ووسـط ذهـولِ الجميـعِ أعـادَ (حمـزةُ) قوسـه إلى مكانـها ومضى إلى بيته ..

عاد (حمزة) إلى بيته وقد ازدحمت رأسُه بالأفكارِ ..

عاد يتساءلُ عما حَدَثَ .. وكَيْفَ حَدَثَ .. ولماذا حَدَثَ ..

لقد أعلنَ على مَسْـمَعٍ مـن مجموعـةٍ كبـيرةٍ مـن زعمـاءِ قريشٍ ووجهائها أنه قد أَسْلَمَ .. أنـه يتبـعُ دِيـنَ ابـنِ أخيـه (محمدٍ) .. وهذا أمرٌ لم يحدثْ .. فهو لم يسمعْ إلى حديثِ ابن أخيه ولم يسألْه عنه رغم أنه موقنٌ من صدقِـه فمـاذا يقـول (محمد) .. إلى أي شيءٍ يدعو .. لا بد أن يعـرفَ .. لا بـد أن يسمعَ وأن يقتنعَ..

لقد أعلنَ (حمزةُ) إسلامَه في لحظةِ انفعال .. وهذا أمـرٌ لا يستقيم وعقلِ الرجلِ وذكائه ورجاحته .. أيغيِّرُ دينَه في لحظةِ غضبٍ .. وتقلبَ (حمزةُ) في فراشِـه .. فكيـفَ يـزورُه النـومُ بعدما حدثَ ، ومع خيوطِ الصباحِ الأولى ذهـبَ (حمـزةُ) إلى الكعبةِ فاتجه إليها بوجهه وقلبِه وراحَ يناشدُ عقلَه وقلبَـه أن يدلَّه على الصوابِ..

وبعون الله .. أدرك الصوابَ ..

ويحكى (حمزةُ) عن هذه الأيام العصيبةِ من حياته فيقول :

(أدركني الندمُ على فراق دين آبائي وقومـي ، وبـتُّ مـن الشكِّ في أمرٍ عظيم لا أكتحلُ بنـومٍ .. ثـم أتيـت الكعبـةَ وتضرعتُ إلى اللهِ أنْ يشرحَ صـدري للحـقِّ ويُذْهِـبَ عـني الرَّيبَ .. فاستجابَ الله لي وملأ قلبي يقينـا .. وغـدوتُ إلى رسولِ الله فأخبرتُه بما كانَ من أمري فدعا الله أن يثبت قلـبي على دينه ..)

وهكذا أعزَّ الله دينَه بهذا الفتى الهاشمي وكـانَ انضمامُـه إلى كتيبةِ الإيمان تقويةً لموقفِ المستضعفين من أتباعه ..

وواظَبَ (حمزةُ) على حضورِ مجالسِ النبيِّ وسمـاعِ دروسِـه

حتى أصبحتْ تعاليمُ الإسلامِ تجري في عروقِه مجرى الدمِ وفي صدرِه مجرى النَّفَسِ ..

ويكفينا كي نعرف أثر انضمام (حمزةَ) إلى كتيبةِ المسلمين أن نَذْكُرَ هذا اليومَ الذي دَقَّتْ فيه قبضةُ (عمرَ بن الخطابِ) القويةُ بابَ (دارِ الأرقمِ بنِ أبي الأرقمِ) وارتعدَ البعضُ خوفًا .. يومها تقدمَ (حمزةُ) يفتحُ البابَ وهو يقول لمن معه :

(لا تَرَاعُوا .. إن كان عمرُ قد جاء يريدُ منا خَيْرًا بَذَلْنَاه له ، وإن كان يريدُ بنا شرًّا قتلناه بسيفه) .

فمن غير (حمزةَ) كانَ يستطيعُ أن يقولَ مثل هذا .. ومن غيره كان يمكن أن يقفَ مثل هذا الموقف ..

تزوج (حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ) من (سلمى بنت عُمَيْس) وهي أختٌ شقيقةٌ (لأسماءَ بنتِ عُمَيْس) التي تزوجت من (جعفرِ بنِ أبي طالبٍ) ابنِ عمِّ النبيِّ - عليه السلامُ - وهاجرتْ معه إلى الحبشةِ ..

وإلى المدينةِ المنورةِ هاجرَ (حمزةُ) ليكونَ مع ابن عمِّه وأخيه ورسولِه ونبيِّ دينه .. هاجر (حمزةُ) مع صفوةِ الصحابةِ

وقد تركَ زوجتَه (سلمى) ووحيدته (أمامة) بمكة .. وآخى النبيُّ ـ عليه السلامُ ـ بينه وبين (حِبِّه) (زيدِ بنِ حارثةَ) .

لم تكن هجرةُ الرسولِ وصَحْبِهِ إلى يثربَ هي بدايةُ الهدوءِ والاستقرارِ للمسلمين .. بل كانت بدايةَ النضالِ السياسيِّ والعسكريِّ لتوطيدِ أركانِ الدولةِ الجديدةِ ..

وبدأت السَّرايا والحملاتُ تخرجُ حاملةً لواءَ الإسلامِ ويحملُ (حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ) أوَّلَ هذه الألويةِ .. ويكونُ أولَ من حَمَلَ لواءً في الإسلامِ ..

ويكون (لحمزةَ) الضربةُ الأولى في موقعةِ (بدرٍ) عندما صرعَ (الأسودَ بنَ عبدِ الأسدِ المخزومي) .

وفي أول مبارزةٍ بين المسلمين وفرسانِ قريش .. بَرَزَ حمزةُ ابنُ عبدِ المطلبِ وعليُّ بنُ أبي طالبٍ وعبيدةُ بنُ الحارثِ .. وتفوقَ سيفُ الإسلامِ في يَدِ أبناءِ الإسلامِ .

وكانَ (حمزةُ) واحدًا من أبرز فرسانِ المعركةِ .. أطاحَ سيفُه برقابٍ غَيْرِ قليلةٍ لزعماءِ الشركِ وقادةِ الضلالِ .. وإذا كانَ المسلمون قد اجتمعوا ليكتبوا قصيدةَ نَصْرِهم في (بَدْرٍ) دفاعا عن الدينِ الحق .. فقد كان لحمزةَ شرفُ تَسْطيرِ أهمِّ

أبياتِ هذه القصيدةِ وإنشادِ قوافيها ..

وتمتلئُ القلوبُ المشْرِكةُ غِلاً فوقَ غِلِّها .. وهم يذكرون (حمزةَ) كلما تذكروا مصرعَ رجلٍ منهم أو مقتلَ فارسٍ .. وما أكثر من صُرِعَ أو قُتِلَ ..

وجمعت قريشٌ فرسانَها واستمالتْ من استطاعت من القبائلِ وحملتْ ما لم تحملْ من قبلُ مِن السلاحِ والعتادِ كما حَمَلَتْ في قلوبها ما لم تعرفْ من قبلُ من حقدٍ وغلٍّ ورغبةٍ في الانتقامِ ..

عامٌ كان قد مَرَّ على موقعةِ (بدر) .. قضاه المشركون في الاستعدادِ للانتقامِ حتى امتلأتْ القلوبُ بالرغبةِ في القضاءِ على هذه الدعوةِ الجديدةِ التي قَتَلَ اتباعُها قادتَهم وفرسانَهم حتى أصبحتْ قريشُ وفي كل بيتٍ من بيوتها مأتمٌ .. ودعوةٌ للثأر ..

وكان (حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ) هو أولُ الأسماءِ ـ بعد رسولِ الله ـ التي اتجهتْ إليها دعوةُ الانتقامِ حتى أصبح وحدَه (جيشًا) يُرَادُ هزيمتُه وقهرُه ..

وفي (أحدٍ) التقى الجمعان .. قاتل المسلمون قتال العقيدةِ

دفاعًا عن دينِهم وعَنْ نبيهم .. وقاتلَ المشركون ثأرًا لعارٍ لَحِقَ بهم وإطفاءً لنار الانتقام في صدورِهم ..

وكان النصرُ لجندِ الله .. وبدأت فلولُ الكفارِ في الانسحاب .. وخالفَ الرماةُ المسلمون أوامرَ نبيهم وقائدِهم وراحوا يجمعون الغنائمَ .. وانتهزها المشركون فرصةً وهاجموا المسلمين من الخلفِ .. واختل ميزانُ المعركةِ ..

وَسَطَ هذا الصراعِ كانَ (حمزةُ بنُ عبدِ المطلب) هو الفارسُ الصَوَّالُ الجوَّالُ يحصدُ سيفُه رقابَ الأعداءِ ولا تخطئ ضربتُه أبدًا.. إلا أن عبدًا حبشيًّا كان يتربصُ به .. جاء هذا العبدُ إلى أرضِ المعركةِ حاملاً رمحَه الذي يجيدُ استعمالَه وليس له إلا هدفٌ واحدٌ (حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ) .. فقد وعده سيدُه (جُبَيْرُ بن مُطْعَم) أن يعتقَه إذا قَتَلَ (حمزةَ) كما وعدته (هِنْدُ بنتُ عُتبةَ) زوجةُ (أبي سفيان) أن تهديه قلائدها وأقراطَها الثمينةَ إذا قَتَلَ (حمزةَ) .

وراحَ العبدُ الحبشيُّ (وَحْشِيٌّ) يبحثُ عن هدفه وسط المعركةِ .. وراحَ يتخفَّى ويدقِّقُ البحثَ حتى أبصرَ (حمزةَ)

فقذفه بحربته التي لم تخطئ فأرداه شهيدًا ..

سقط (سيدُ الفرسان) (أسدُ اللهِ) شهيدًا على أرضِ معركةِ (أُحُدٍ) بعد أن أبلى بلاءً ليس بعده بلاءٌ ..

إلا أن موتَ حمزةَ وحدَه لم يشفِ غَليلَ الموتورين ولا الحاقدين فَمَثَّلُوا بجثته .. بَقَرُوا بطنَه وانتزعوا كبدَه .. وقطعوا أذنَيه وأنفَه وبعضَ أجزاءٍ من جسمه .. يا لها من فظاعةٍ ..

إنها أمورٌ لم تكنْ تعرفها العربُ .. أمورٌ تتنافى مع أبسطِ مشاعرِ الإنسانيةِ .. وكيفَ يعرفُ هؤلاءُ الآثمون من مشركي قريشٍ مبادئَ الإنسانيةِ أو شعورَ البشرِ ؟!

وانتهت المعركةُ وعادَ المشركون إلى مكةَ .

ونزلَ المسلمون أرض المعركةِ يفتشون عن شهدائهم .. كلما رأوا واحدًا تَرَحَّمُوا عليه وتذكَّروا فضلَه على أهله ودينه ..

إلى أن رأى رسولُ الله عَمَّه (حمزةَ) ..

كانت لحظةً قاسيةً على نَفْسِ النبيِّ أن يرى أحبَّ الناسِ إلى قلبه وقد سَقَطَ شهيدًا ثم مُثِّلَ أعداؤه بجثته ..

وخرجتْ الكلماتُ من بين شفتي النبيِّ ممزوجةً بدَمْعِ الأسى وقال : (لن أُصَابَ بمثلك أبدًا .. وما وقفت موقفا قَطُّ أغيظَ مِن موقفي هذا) .

وصَمَتَ النبيُّ برهةً وكأنه يستجمعُ شتاتَ نفسِه ثم قال :

(لئن أظهرني الله على قريشٍ في موطنٍ من المواطنِ ، لأُمَثِّلَنَّ بثلاثين رجلا منهم) .

هكذا كان حزنُ النبيِّ على عمِّه (أسَدِ الإسلامِ) عظيمًا حتى قالَ إنه سينتقمُ له من أعدائه ويصنع مثلَ ما صنعوا مع ثلاثين من رجالهم .

لكن الله أرادَ أن يُعَلِّمَ نبيه ويعلم معه المسلمين درسًا عظيمًا في العفوِ والصبرِ .. فنزل الوحيُ الكريم ..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل : 125 ـ 128]

فقال رسول الله عليه السلام : (بل نصبر يا رب) .

وصلى النبيُّ وأصحابُه على جثمان حمزةَ أولا .. ثم جـيء بالشهداءِ واحدًا بعد الآخر .. والنبيُّ وصحابتُه يصلُّون على كلٍّ منهم ومعهم (حمزةُ) فكانت صلاتُـه يومـها علـى عمِّـه سبعين صلاةً بعددِ غيرِه من الشهداءِ ..

وقبل أن يوارى جثمانُ (حمزةَ) رضوانُ الله عليه رفعَ النبيُّ وجهَه للسماءِ وقـال : (رحمـة الله عليـك فـإنك كنـت ـ مـا علمتُ ـ وَصُولا للرحم فعولاً للخيرات) .

صدقت يا سيدى يا رسول الله ..

ورضوان الله عليك يا أسدَ الله .. يا حمزةُ بنُ عبدِ المطلبِ.